بحث بعنوان

منهج الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه اللّه في أشراط الساعة دراسة نقدية

د. أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي
الأستاذ المشارك بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية
بجامعة القصيم

من ١٠٩٣ إلى ١١٦٤

المقدمة

الحمد لله الذي عنده علم الساعة ﴿ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةًۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَاۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

والصلاة والسلام على النذير العريان المبعوث بين يدي الساعة ﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾، وعلى آله وصحبه ﴿ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴾. أما بعد:

فإن الإيمان بالساعة من الإيمان باليوم الآخر الذي أطبقت عليه جميع الرسالات الإلهية، ونطقت به جميع الكتب السماوية، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [البقرة: ٦٢]. وهي الحدث المدوي، والزلزال العظيم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾ [الحج: ١- ٢].

ومن رحمة الله بعباده أن نصب بين يدي الساعة علامات، ودلل عليها بأمارات، ليزداد الذين آمنوا إيمانًا، ويستعدوا للملاقاة. قال تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةًۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَاۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٨- ١٩]. فأعظم عُدَّة لاستقبالها التوحيد والاستغفار والإخبات.

وقد جاء ذكرها، وذكر أشراطها، في أعظم حديث في بيان أصول الملة والدين، وهو حديث جبريل: (قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: "مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ" قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: "أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ"، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ

مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: "يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟" قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ"[١]، فكان ذلك من الأصول العظام.

ولم يزل أهل الإسلام يعتنون بتحقيق هذا الباب وتحريره، ويصنفون فيه الكتب والأجزاء، ويدرجونه في المسانيد، والمعاجم، والسنن، والصحاح، وفي متون الاعتقاد؛ نثرًا ونظمًا، حتى بات كثير من مسائله بمنزلة المعلوم من الدين بالضرورة.

ولمَّا كانت النفوس مجبولة على استشراف المستقبل، واستطلاع الغيب، تعلقت بمعرفته. وربما شاب هذا العلم ما شاب غيره من الأبواب؛ من أحاديث ضعيفة أو موضوعة، أو فهوم قاصرة أو موهومة. غير أن الاعتصام بالكتاب والسنة، وفهم سلف الأمة، ركن شديد، ومهيع رشيد، ينفي زغلها، وينصع طيبها.

ولقد كان العالم الرباني، الفقيه، المفسر، الأصولي، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١٣٠٧-١٣٧٦هـ)، رحمه الله، شامة في جبين القرن الرابع عشر الهجري، لمشاركاته المتنوعة في علوم الدين، وسيرته العطرة في الشفقة والنصح للمسلمين. وقد عاصر حقبةً من الدهر اتسمت بتحولات فكرية، وسياسية، ومعيشية كبرى، شهدت حربين عالميتين، واحتلالًا لمعظم ممالك المسلمين، وانفتاحًا على مخترعات وصناعات لم تكن مألوفة لعموم الناس، صاحبها هجمة إلحادية اكتسحت عقول كثير من المفتونين المبهورين بحضارة الغربيين المنتصرين. فكان له، رحمه الله، يد تُمسِّك بالكتاب، وصوت يثبِّت الألباب. وقد تخطى حدود بلدته، واتصل بعلماء البلاد الإسلامية، وطالع المطبوعات، وتابع الماجريات، واجتهد في دفع الإلحاد، وأخذ بحُجَز كثير من معاصريه عن الوقوع في مهاوي الضلال، والانسياق خلف دعاوي التحرر والتمدن والانفلات. بل حاول، رحمه الله، توظيف المستحدثات والمستجدات لشد معاقد الدين، وتقوية آصرة اليقين.

وقد جرى، رحمه الله، في عامة تقريراته وأصوله على سنن السلف المتقدمين؛ في تفسيره الموسوم بـ(تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، وكذا في مصنفاته العقدية، مثل: (أصول العقائد الدينية)، و(توضيح الكافية الشافية)، و(البراهين العقلية) و(الحق الواضح المبين)، و(الدرة البهية شرح القصيدة التائية)، و(التوضيح والبيان لشجرة الإيمان)، و(التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة)، و(سؤال وجواب في أهم

---

(١) صحيح البخاري كتاب الإيمان - باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة ...) (٥٤/١) رقم (٥٠)، صحيح مسلم واللفظ له، كتاب الإيمان - باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى (٤٠/١) رقم (١٥).

المهمات)، و(القول السديد في مقاصد التوحيد)، و(أصول عظيمة من قواعد الإسلام)، و(منظومة منهج الحق)، و(الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين)، و(تنزيه الدين وحملته ورجاله عما افتراه القصيمي في أغلاله).

غير أنه، رحمه الله، وقع له بعض الاجتهادات والتأويلات في مسائل معدودة منثورة، تتعلق بأشراط الساعة، وأحاديث آخر الزمان، خولف فيها. فمنها ما كان، رحمه الله، أسعد بالدليل، وأرجح في التعليل. ومنها ما جانبه فيها الصواب. وهكذا حال المجتهد الناصح؛ يتراوح بين إحدى الحسنيين، كما في حديث عمرو بن العاص وأبي هريرة، رضي الله عنهما، مرفوعًا: (إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ) [1].

ومن الوفاء لهذا العالم الرباني بيان صحة منهجه، والتنبيه على خطأ اجتهاده، والاعتذار له، والذب عنه. رحمه الله رحمة واسعة.

الدراسات السابقة:

حظي تراث الشيخ عبد الرحمن السعدي، رحمه الله، بدراسات متعددة، وسجلت في بيان جهوده في مختلف علوم الدين، رسائل علمية متنوعة. والذي يعنينا في هذا المقام، ما يتعلق بمسألة "أشراط الساعة". فمما سبق في ذلك:

١- مبحث في فصل الإيمان باليوم الآخر من كتاب: (الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة)[2]: لفضيلة د. عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر. وهي دراسة استقرائية، وليست نقدية، سوى ما يتعلق بـ(يأجوج ومأجوج)، فقد اعتمد الباحث على نقد الشيخ حمود التويجري، رحمه الله. وفي المقام ما يستدعي التفصيل.

٢- (رسالتان في فتنة الدجال ويأجوج ومأجوج)[3]: للشيخ عبد الرحمن السعدي، بتحقيق وتعليق د. أحمد بن عبد الرحمن القاضي. وهما تختصان بهذين الشرطين فقط، من أشراط الساعة.

---

(١) صحيح البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة – باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ (٣٤٤/١٨) رقم (٧٣٥٢)، صحيح مسلم كتاب الأقضية – باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ (١٣٤١/٣) رقم (١٧١٦).

(٢) الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة. د. عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر. ط: الأولى . مكتبة الرشد. الرياض ١٤١١هـ.

(٣)رسالتان في فتنة الدجال، ويأجوج ومأجوج. عبد الرحمن بن ناصر السعدي. تحقيق وتعليق: أحمد بن عبد الرحمن القاضي. ط: الثانية. دار ابن الجوزي. الدمام ١٤٢٧هـ.

٣- (إبطال دعوى الخروج ليأجوج ومأجوج)[١]: للشيخ عبد الكريم بن صالح الحميد. وهو نقد يختص بهذا الشرط فقط، وفيه ما يستدرك ويناقش.

وقد خلت جميع الدراسات المتعلقة بالشيخ عبد الرحمن السعدي، رحمه الله، من الإشارة إلى رسالة مخطوطة، كتبها عن (الدابة) ولم ينشرها، لأسباب سنذكرها في محلها، إن شاء الله.

والمقصود بهذا البحث الكشف عن منهج الشيخ عبد الرحمن السعدي، رحمه الله، في تناول أشراط الساعة، ونقده وتحليله، والتعرف على الدواعي التي حملته في بعضها على نوع تأويل.

وقد رأيت تقسيم البحث على النحو التالي:

المبحث الأول: ترجمة موجزة للشيخ عبد الرحمن السعدي.

المبحث الثاني: المنهج العام للسعدي حيال نصوص أشراط الساعة.

المبحث الثالث: المنهج الخاص للسعدي حيال بعض نصوص أشراط الساعة.

الخاتمة.

والله المسؤول، وحده، أن يرينا الحق حقًا، وأن يرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلًا، وأن يرزقنا اجتنابه، وأن يغفر لنا، وللشيخ عبد الرحمن السعدي، ويرفع درجته في المهديين. والحمد لله رب العالمين.

كتبه د. أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي

قسم العقيدة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة القصيم

---

(١)إبطال دعوى الخروج ليأجوج ومأجوج. عبد الكريم بن صالح الحميد. (لا يوجد بيانات طباعة على المطبوعة!).

المبحث الأول
ترجمة موجزة للشيخ عبد الرحمن السعدي[١]

اسمه ونسبه:

عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد السعدي، العنبري، العمري، التميمي، أبو عبد الله. قدمت أسرة "آل سعدي" من بلدة "المُستَجِدَّة" أحد منازل بني تميم القريبة من "حائل"، واستوطنت "عنيزة: من بلاد القصيم، نحو سنة ١١٢٠هـ.

ولادته ونشأته:

ولد في الثاني عشر من محرم سنة ١٣٠٧هـ، في عنيزة. توفيت والدته وهو ابن أربع سنين، وتوفي والده وهو ابن سبع سنين، فلحقه اليتم من الجهتين. وقد أوصى به أبوه، وكان من الوعاظ الصالحين، إلى أخيه الأكبر "حمد"، وتولت تربيته زوجة أبيه، فعطفت عليه، وأحبته، واعتنت به. ثم صار إلى منزل أخيه "حمد"، فنشأ نشأة صالحة كريمة، وحفظ القرآن، ولمَّا يتجاوز الثانية عشرة من عمره.

طلبه للعلم:

أقبل على طلب العلم وهو يافع، على علماء بلدته ومن وفد إليها. وقد حظي بالدرس على كوكبة من العلماء الذين رحلوا إلى بلاد شتى، مما كان لهم تأثير في سعة أفقه، وتنوع ثقافته. فمنهم:

١- الشيخ صالح بن عثمان القاضي (١٢٨٢-١٣٥١هـ) رحمه الله، قاضي عنيزة، وخطيبها، وإمامها المقدم. وكان قد طلب العلم في مصر، والحجاز، نحو سبع عشرة سنة. فقرأ عليه معظم علوم الدين، وأجازه في مروياته الحديثية. وقد لازمه ملازمة تامة حتى وفاته.

٢- الشيخ إبراهيم بن حمد الجاسر (١٢٤١-١٣٣٨هـ) رحمه الله، الذي تولى القضاء في عنيزة حينًا. وكان قد رحل إلى الشام، والعراق، في طلب العلم والتعليم.

٣- الشيخ محمد الأمين بن عبدي الشنقيطي (١٢٨٩-١٣٥١هـ) رحمه الله، الذي طوَّف في عدد من البلاد الإسلامية، وجاهد الإنجليز في البصرة، وأقام في عنيزة أربع سنين، فانتفع من علمه ومن طريقته في التدريس.

---

(١) استمدت هذه الترجمة الموجزة مما كتب تلميذاه: الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام، رحمه الله، في (علماء نجد خلال ثمانية قرون) (٣/ ٢١٥-٢٧٢). ط: دار العاصمة. الأولى ١٣٩٨هـ الرياض. والشيخ محمد بن عثمان القاضي، حفظه الله، في (روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين)(١/ ٢٢٠-٢٣١) . ط: الحلبي. الثانية ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م القاهرة.

٤- الشيخ علي بن ناصر أبو وادي (١٢٧٣- ١٣٦١هـ) رحمه الله، الذي طلب العلم في الهند، ولقي مُحدِّثي الهند: نذير حسين، وصديق حسن خان القنوجي، وعاد بإجازات في الكتب التسعة، وأجاز الشيخ عبد الرحمن، وآخرين من أهل بلدته.

٥- الشيخ محمد بن عبد الكريم الشبل (١٢٥٧- ١٣٤٣هـ) رحمه الله، الذي طلب العلم في الحجاز، وكان مبرِّزًا في النحو والعربية. وهو من أوائل مشايخه.

نشره للعلم:

بذل، رحمه الله، قصارى وسعه في نشر العلم وتعليمه للخاص والعام، والقريب والبعيد، وسلك في ذلك سبلًا متعددة، وهي:

أولًا: التدريس: بذل الشيخ، رحمه الله، وقته للطلبة؛ فكان يدرس يوميًا بعد طلوع الشمس، وفي الضحى، وقبل صلاة العصر، وبعدها، وبين العشاءين. وسلك في ذلك طرقًا مشوقةً غير مألوفة، ووضع لهم الجوائز المحفزة. وقد انتفع به من طلاب العلم، ناهيك عن العامة، خلقٌ كثير تجاوزوا مائةً وخمسين طالبًا، تبوؤا مختلف الوظائف الدينية والتعليمية في البلاد.

ثانيًا: التأليف: شرح الله صدر الشيخ عبد الرحمن للتصنيف في سائر العلوم، بأسلوب سهل ميسر، وتقريب لمسائل العلم، وتفنن في عرضه. وقد قاربت مؤلفاته خمسين كتابًا، سعى في طباعتها ونشرها في حياته.

ثالثًا: الخطابة: تسنم الشيخ منبر الجامع الكبير في عنيزة، وكان له خطب مؤثرة تعالج أحوال الناس في بلدته، وأحوال المسلمين عامة. وقد جمعت في ديوان واحد[١].

رابعًا: الفتاوى: فقد صدرت عنه رحمه الله فتاوى محررة، في مسائل واقعة، ونوازل مستجدة، تنم عن حسن تصوره، وعمق فقهه، وسعة أفقه. وقد طبعت مرارًا باسم: (الفتاوى السعدية).

رابعًا: المراسلات: تخطى الشيخ، رحمه الله، حدود البلاد النجدية، واتصل بعلماء المسلمين في مصر والشام، فكان يطالع مجلة "المنار" التي أنشأها الشيخ محمد رشيد رضا (١٢٨٢-١٣٥٤هـ) رحمه الله، ويراسله. وكذلك مجلة "الفتح" التي أنشأها الشيخ محب الدين الخطيب (١٣٠٣-١٣٨٩هـ)، وينقل عنهما. ويبعث بالأجوبة المفصلة لتلاميذه في الأقطار[٢].

---

(١) اعتنى بجمعها د. وليد بن محمد العلي، جزاه الله خيرا، وطبعت باسم (مجموع خطب الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي). ط: دار البشائر الإسلامية. الأولى ١٤٣٢هـ ٢٠١١م.

(٢) انظر على سبيل المثال: الأجوبة النافعة عن المسائل الواقعة، التي أرسلها لتلميذه الشيخ

صفاته الشخصية:

كان، رحمه الله، آية في حسن الخلق، وطيب المعشر، والترفق بالخلق، والإحسان إليهم، والشفقة عليهم، حتى ملك قلوب الناس بمحبته، والتأثر بأخلاقه، وحسن تربيته، واللهج بمناقبه، وكريم طباعه. وله في ذلك قصص وأخبار يطول بذكرها المقام[1]. وكان، رحمه الله، زاهدًا متقللًا من الدنيا، استعفى من القضاء، عابدًا، كثير الحج والعمرة، وصولًا للرحم، مكرمًا للضيف والجار، مراعيًا لحقوق ولاة الأمر، حريصًا على رأب الصدع، وجمع الكلمة، والعفو والمسامحة، وزرع المودة بين المسلمين.

وفاته:

توفي، رحمه الله، فجر يوم الخميس، الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة ١٣٧٦هـ،عن تسع وستين سنة، ودفن في مسقط رأسه"عنيزة".رحمه الله رحمة واسعة.

عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل، رحمهما الله. اعتنى بها: هيثم بن جواد الحداد. ط: دار المعالي. عمان، ودار ابن الجوزي. الدمام. الأولى ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م وانظر :الأجوبة السعدية عن المسائل الكويتية. دراسة وتحقيق : د. وليد بن عبد الله المنيس. ط: مركز البحوث والدراسات الكويتية. الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م الكويت.

(1) انظر في ذلك ما أملاه ابنه محمد في (مواقف اجتماعية من حياة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي) عناية سبطه: مساعد بن عبد الله السعدي. ط: دار الميمان. الأولى ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.

المبحث الثاني

المنهج العام للسعدي حيال نصوص أشراط الساعة

جرى السعدي، رحمه الله، على طريقة أهل السنة والجماعة، المبنية على الكتاب والسنة الصحيحة، في سائر أبواب الإيمان، وفي باب الإيمان باليوم الآخر، المتضمن لأشراط الساعة الصغرى والكبرى، وسطر ذلك في العديد من كتبه.

قال، رحمه الله، في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ ﴾ [محمد: ١٨] (أي: علاماتها الدالة على قربها)[١]. وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ [الزخرف: ٦١]: (أي: وإن عيسى عليه السلام، لدليل على الساعة، وأن القادر على إيجاده من أم بلا أب، قادر على بعث الموتى من قبورهم، أو: وإن عيسى عليه السلام، سينزل في آخر الزمان، ويكون نزوله علامة من علامات الساعة)[٢].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ [الأنعام: ١٥٨]: (الدالة على قرب الساعة..."يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ": الخارقة للعادة، التي يعلم بها أن الساعة قد دنت، وأن القيامة قد اقتربت...وقد تكاثرت الأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن المراد ببعض آيات الله طلوع الشمس من مغربها)[٣].

ومن أبين ما يوضح منهجه في ذلك، قوله بعد سياق أحاديث الدجال: (الكلام على هذه النصوص في قصة الدجال تقتضي تقديم مقدمات:

إحداها: أن المسلمين متفقون على تلقي جميع ما جاءت به النصوص الصحيحة من الكتاب والسنة بالتصديق والقبول. وأن جميع ما أخبر به الله ورسوله فهو واقع ما له من دافع. وسواءٌ عرفنا تأويله والمراد به بعينه، أو لم نعرف ذلك. فهذا الأصل المتفق عليه بين علماء المسلمين. لا يتم للعبد إيمان إلا به. بل هو أصل الإيمان ومادته.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن بتفسير كلام المنان. عبد الرحمن بن ناصر السعدي. ط: دار ابن الجوزي. الأولى ١٤٢٢هـ الدمام. (٤/ ١٦٥٧).

(٢) تيسير الكريم الرحمن بتفسير كلام المنان. (٤/ ١٦١٦).

(٣) تيسير الكريم الرحمن بتفسير كلام المنان(١/ ٥٢٧).

الثانية: أن إخبارات النبي صلى الله عليه وسلم، وأوامره ونواهيه، كلها حق وصدق ونفع للعباد، وللأمة من أولها إلى آخرها)[١].

وقرر، رحمه الله، أن من براهين الدين الإسلامي ما أخبر به صلى الله عليه وسلم، من الغيوب المتنوعة، فعقد فصلًا سرد فيه جملة صالحة من أشراط الساعة الصغرى التي تحققت، أو جارٍ تحققها، قال فيه: (ومن ذلك ما تواترت به نصوص السنة من إخباره صلى الله عليه وسلم عن الأمور المستقبلة، فوقعت طبق ما أخبر، ولا تزال بقيتها تحدث شيئًا فشيئًا. ولا بد أن يقع كل ما أخبر به. فإنه:

- أخبر بالخلافة بعده، وأنها تكون ثلاثين سنة، ثم يعقبها الملك الذي يكون فيه خير وشر، وصلاح وفساد.
- وإخباره أن الله زوى له الأرض؛ مشارقها ومغاربها، وأن ملك أمته سيبلغ ما زُوي له منها. فوصلت الفتوحات الإسلامية إلى المحيط الغربي، وإلى الشرق الأقصى من حدود الصين.
- وإخباره بما يقع بعده من الفتن التي في صدر الإسلام وبعده.
- وإخباره بأن خير القرون قرنه، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، فوجد مصداق ذلك في علومهم، وأعمالهم، وثمرات أعمالهم.
- وإخباره بأنه لا تزال طائفة من أمته على الحق، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله. وظهر مصداق ذلك.
- وإخباره بفشو الزنا، والخمر، والحرير، والذهب، والجهل، وقلة العلم، وكثرة الهرج والمرج، وتداعي الأمم على المسلمين كتداعي الأَكَلَة على الصحفة، مع كثرة المسلمين، ولكنهم غثاء كغثاء السيل، لتفرقهم وتعاديهم وذلهم وخضوعهم واستعبادهم للأجانب، وفقد معنويتهم لإعراضهم عن هداية دينهم.
- وإخباره بتقارب الزمان، الذي من لازمه تقارب المكان، فكان هذا عين ما وقع من قرب المواصلات الزمانية والمكانية بالمخترعات الحادثة.
- كما أن إخباره بمواقيت المناسك للأقطار قبل فتحها، فيه الإخبار بفتحها، وأن أهلها سيسلمون ويحجون. وتصريحه بأن أمته سيهزمون الأكاسرة والقياصرة، وتنفق خزائنها في سبيل الله.
- وإخباره بالمتنبئين الكذابين بعده، وأنهم سيبلغون ثلاثين كذابًا، فوقع كل ذلك.
- وإخباره بقتال أمته للترك، وأن أمته ستركب البحر غزاةً في سبيل الله.

---

(١) رسالة في فتنة الدجال. عبد الرحمن بن ناصر السعدي. تحقيق: د. أحمد القاضي. ط: دار ابن الجوزي. الثانية. الدمام ١٤٢٧هـ.

- وإخباره بأن أمته ستفترق ثلاثًا وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة. والمراد هنا أمة الإجابة، الذين آمنوا بالرسول وأجابوا دعوته؛ فمنهم اثنتان وسبعون فرقة أهل بدع، وواحدة أهل سنة، متمسكون بما عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.
- وإخباره بخروج الخوارج المارقين، ووصفه لهم بالصفات المتعددة، المطابقة لأحوالهم.
- وإخباره بظهور الخيانة، وفقد الأمانة، وأن الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ.
- وإخباره بقتال أمته لليهود، وأن العاقبة لهم. وقد ظهرت مبادئ ذلك، وأنه لا تقوم الساعة حتى تعود جزيرة العرب مروجًا وأنهارًا، وقد بدت مبادئ ذلك، ولا بد أن يتم ذلك كله، وأنه لا تقوم الساعة حتى يقل الرجال، وتكثر النساء، حتى يكون قيِّم خمسين امرأة رجل واحد. وقد وقعت أوائل ذلك بالحروب العالمية المهلكة.
- وأخبر بوجود خليفة في آخر الزمان، يحثو المال حثيًا ولا يعده عدًّا.
- وأخبر عن النار التي تخرج في الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى، فوقعت منذ مئين من السنين.
- وإخباره أنه لابد أن يكلم الرجل عذبة سوطه، وشراك نعله، ويخبره فخذه بما فعل أهله بعده. ومصداقه ما ظهر من الأعمال الكهربائية، والمخاطبات التليفونية والهوائية، والراديات المتنوعة التي لا تزال في نمو وازدياد. إلى غير ذلك من الإخبارات عن الوقائع في أحاديث صحيحة متعددة. وهي أحاديث معروفة لا يمكن إحصاؤها في هذا الموضع. وهذا من براهين الرسالة، وآيات نبوته صلى الله عليه وسلم)[١].

فهذه عشرات الأشراط، أثبتها، رحمه الله، ونهج فيها منهج سلف الأمة؛ من الإقرار، والقبول، والقطع بتحققها، كما أخبر من لا ينطق عن الهوى، واجتهد في تلمس مبادئ وقوع بعضها، وتوقع نموها وازديادها لتقع كما أخبر.

بل إنه، رحمه الله، اتخذ من إخبار النبي صلى الله عليه وسلم، بأشراط الساعة دليلًا على فساد طريقة الفلاسفة الملحدين، الذين يعتمدون على الحسيات، وينكرون الغيبيات، ويعولون على القياس البرهاني وغيره، فقال: (وكذلك أخبر عما كان وسيكون بعده من الحوادث المعينة، حتى أخبر عن

---

(١) وجوب التعاون بين المسلمين وموضوع الجهاد الديني. عبد الرحمن بن ناصر السعدي. المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي. ط: مركز صالح بن صالح الثقافي. ١٤١١هـ ١٩٩٠م عنيزة. (٥/٢٣٤-٢٣٥).

"التتر" بما ثبت في الصحيحين من غير وجه أنه قال: "لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك؛ صغار الأعين، ذلف الأنوف، حمر الخدود، ينتعلون الشعر، كأن وجوههم المَجانُّ المُطرَّقة"[1]. فهل يتصور أن قياسهم وبرهانهم يدل على آدمي معين، أو أمة معينة، فضلًا عن أن يوصف بهذه الصفات قبل ظهورهم بنحو سبعمائة عام؟.

وكذلك إخباره بخروج النار التي خرجت سنة ٦٥٥هـ[2]، وسائر ما أخبر به من الأمور الماضية والمستقبلة، والأمور الحاضرة، مما يعلمون أنه يمتنع أن يعرف ذلك بالقياس البرهاني وغيره)[3].

وفي هذا القدر كفاية في بيان منهج الشيخ عبد الرحمن السعدي، رحمه الله، في إثبات نصوص أشراط الساعة، وأنها حق على حقيقتها التي أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم، لا تحتمل التأويل، وأنها ستقع كما أخبر، لا محالة.

([1])صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير- باب قتال الترك (٥١/٤) رقم (٢٩٢٨)، صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء (٢٢٣٣/٤) رقم (٢٩١٢).

([2]) ذكر مجد الدين الفيروزابادي أن ظهور نار الحجاز كان سنة أربع وخمسين وستمائة. انظر المغانم المطابة في معالم طابة (٤٦٩/٢). ط: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة. الأولى ١٤٢٣هـ. المدينة.

([3]) الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين. عبد الرحمن بن ناصر السعدي. المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي. ط: مركز صالح بن صالح الثقافي. ١٤١١هـ ١٩٩٠م عنيزة. (٥/ ٣٢٠).

المبحث الثالث

المنهج الخاص للسعدي حيال بعض نصوص أشراط الساعة

عاش الشيخ عبد الرحمن السعدي، رحمه الله، معظم القرن الرابع عشر الهجري (١٣٠٧-١٣٧٦هـ)، الذي شهد انحلال الدولة العثمانية تدريجيًا، وإلغاء الخلافة الإسلامية رسميًا، سنة ١٣٤٤هـ ١٩٢٤م، وتقاسم الدول الأوربية العلمانية لتركة "الرجل المريض" إثر اتفاقية (سايكس-بيكو) سنة ١٣٣٦هـ ١٩١٦م، المبرمة بين الإنجليز والفرنسيين. فخضعت معظم البلدان الإسلامية للاستعمار العسكري.

وانبهر كثير من ذراري المسلمين بالحضارة الأوربية الفتية، وما تحمله من مخترعات وصناعات ومكتشفات لا عهد لهم بها. وصاحب ذلك غزو فكري متنوع المشارب، يتراوح ما بين العَلمانية، والإلحاد، فضلًا عن التنصير والاستشراق. وتعرضت "العقيدة" و "الشريعة" في نفوس كثير من الناس لزلزال شديد، وسقط في الفتنة من سبقت لهم من الله السوأى.

وكان هؤلاء المفتونون يتذرعون بالعقل، ويتهكمون بأهل العلم والإيمان، ويتخذونهم سِخريا، ويصمونهم بألقاب السوء؛ كالرجعية، والجمود، والتخلف، ويحاولون هدم الدين. وكان أشدهم خطرًا وضررًا، الملاحدة الشيوعيون الذين استطار شررهم إثر نجاح الثورة البلشفية الشيوعية عام ١٣٣٧هـ ١٩١٧م، فأرسلت شظاياها إلى فناء المسلمين، وأصابت بعض المخذولين، فاستحالوا دعاةً على أبواب جهنم، من أجابهم قذفوه فيها.

وفي هذا الخضم المتلاطم، صمد علماء ربانيون، كالأطواد الشامخة، يُمسِّكون بالكتاب، ويثبِّتون القلوب، ويقارعون الشبهات بالحجج الدامغات، ويرفعون عن العقيدة والشريعة تهمة السوء. وكان منهم في بلاد نجد، الشيخ عبد الرحمن السعدي.

وقد انتدب الشيخ لرد شبهات الفلاسفة الغربيين، والملاحدة الشرقيين، وألف في ذلك العديد من الكتب، مبينًا أن المخترعات الحديثة، التي يستطيل بها هؤلاء وهؤلاء، لا تتعارض مع ما جاء به الدين، بل هي شاهد له ودليل.

وربما ابتلع بعض معاصريه، من المنسوبين للعلم والدين، الطُّعم، فطفقوا يُطوِّعون النصوص الغيبية لتتفق مع المعطيات المادية، لهوانهم، وضعف إيمانهم. فحذر، رحمه الله، من هذا المسلك، حتى إنه كتب إلى الشيخ محمد رشيد رضا، صاحب مجلة المنار، رحمه الله، مستدركًا على بعض من كتب في مجلته، ما نصه: (وكذلك يبحث كثير منهم في الملائكة والجن والشياطين، ويتأولون ما في الكتاب والسنة من ذلك بتأويلات تشبه تأويلات القرامطة، الذين يتأولون العقائد والشرائع؛ فيزعمون أن الملائكة هي القوى الخيرية التي في الإنسان، فعبر عنها الشرع بالملائكة. كما أن الشياطين هي القوى الشريرة

التي في الإنسان، فعبر عنها الشرع بذلك. ولا يخفى أن هذا تكذيب لله ولرسله أجمعين... وقد ذكر لي بعض أصحابي أن مناركم فيه شيء من ذلك... كما ثبت، أيضًا عندنا، أنه يوجد ممن كان يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر، ويعظم الرسول، وينقاد لشرعه، وينكر على هؤلاء الفلاسفة، ويكفرهم في أقوالهم، أنه يدخل عليه شيء من هذه التأويلات من غير قصد ولا شعور، لعدم علمه بما تؤول إليه، ولرسوخ كثير من أصول الفلسفة في قلبه، ولتقليد من يعظمه، وخضوعًا أيضًا ومراعاةً لزنادقة علماء الفرنج، الذين يتهكمون بمن لم يوافقهم على كثير من أصولهم، ويخافون من نسبتهم للبلادة، وإنكار ما علم محسوسًا بزعمهم. فبسبب هذه الأشياء دخل عليهم ما دخل)[١].

والشيخ، رحمه الله، يشير بذلك إلى المدرسة العقلانية، التي تزعمها في العصر الحديث محمد عبده، وتأثر بها رشيد رضا، حينًا من الدهر. ومن أحسن من تناول شخصيته بالدرس والتحليل المفكر الإسلامي "غازي التوبة"، وقد خلص إلى القول: (إن أبعاد مذهب التأويل الذي نهج عليه محمد عبده هي:

١- تأويل معطيات العقيدة الإسلامية بما يتمشى مع العقل من جهة، ومع منجزات الحضارة الغربية من جهة ثانية، كتأويل الجن: بالميكروب، طير الأبابيل: بالبعوض أو الذباب، حجارة السجيل: بجرثوم الجدري أو الحصبة، النفاثات في العقد: بالنمَّامين، خلق عيسى: بالاعتقاد النفسي الذي استولى على مريم. الخ...

٢- تضخيم العقل، ومساواته بالوحي من جهة، ومحاولة تضييق حيز الغيبيات في العقيدة الإسلامية، كنفي حقيقة السحر، مثلًا، من جهة أخرى)[٢].

وقد ظلت هذه المدرسة تنشر أدبياتها، وبدت مخرجاتها، لكثيرٍ من أصحاب الضحالة الدينية، لغةً مناسبةً للعصر، حتى استطعموا حديثها، واستهجنوا ما سواها. ومن أشهر من شغف بالتوفيق بين النصوص القرآنية والكشوف العصرية، الشيخ طنطاوي جوهري (١٨٧٠-١٩٤٠م)، وعبد الرزاق نوفل (١٩١٧-١٩٨٤م).

وربما ألقت هذه الثقافة بظلالها على أساليب معاصريهم، فإن الإنسان يتأثر ببيئته الثقافية ولغة عصره. وربما طال ذلك بعض ما كتبه الشيخ عبد الرحمن السعدي في أشراط الساعة. حاشاه أن يكون سلك مسلك التأويل

---

(١) مجلة المنار : ج ٢، م ٢٩، (١٤٤- ١٤٥).

(٢) الفكر الإسلامي المعاصر : دراسة وتقويم. غازي التوبة. ط: دار القلم. الثانية. بيروت ١٩٧٧م. (٥٤).

المطلق الذي حذَّر منه، وإنما وقع نوع تأويل في مسائل معدودة، أو التماس مبادئ أمرٍ من الأمور الموعودة.

وقد أفصح الشيخ، رحمه الله، عن منهجه بخصوص هذه الأمور المستقبلية، فقال: (وقد يخبر الشارع عن أمور مستقبله، فإذا وقعت كما أخبر كان ذلك زيادة إيمان في حق من عرفها، وعرف تأويلها، ومطابقتها لخبر الله ورسوله، وكان آية وبرهانًا على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقد يشكل على بعض المؤمنين بعض الأخبار إذا وقعت، وتطبيقها على الواقع. فعلى من أشكل عليه الأمر فيها أن يتوقف في الأمر الذي وقع؛ هل هو المراد بخبر الله وخبر رسوله؟ وهل هو ذلك الموصوف أم لا؟ فمن انتهى إلى ما سمع، وتوقف عما لا يعلم، فقد أحسن في ذلك وسلم، ومن تسرع بالجزم بالنفي أو الإثبات، من غير برهان ولا دليل يجب المصير إليه، فهذا من القول بلا علم، وقد علم ما يترتب على ذلك من الوعيد. فالمتعين على كل مؤمن أن يقول بما يعلم، وما تدل عليه الأدلة الشرعية، وأن يتوقف عما لا يعلم نفيًا وإثباتًا)(١).

وهذا منهج رشيد، وهو طريقة الراسخين في العلم الذين أثنى الله عليهم، ووصف طريقتهم حيال المشتبهات، فقال تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧ ﴾ [آل عمران: ٧]. فالراسخون في العلم:

أولًا: يعملون بالمحكمات؛ فيصدقون أخبارها، ويمتثلون أوامرها، ويجتنبون مناهيها، ويقولون بما دلت عليه الأدلة الشرعية. وقد أحسن من انتهى إلى ما علم.

ثانيًا: يؤمنون بالمتشابهات، ويتوقفون فيما أشكل عليهم، ولا يتسرعون بالقطع والجزم بتأويله دون أثارة من علم. وقد سلم من توقف عمَّا لا يعلم.

ولكن الشأن في فهم النصوص، وتطبيقها على الواقع؛ فقد يصيب المجتهد وقد يخطئ. وخطأ المجتهد مغفور. وسوف يجري البحث في بعض نصوص أشراط الساعة التي اجتهد فيها الشيخ، رحمه الله، عبر عدة مطالب:

---

(١) رسالة (يأجوج ومأجوج). عبد الرحمن بن ناصر السعدي. (٦٩- ٧٠).

المطلب الأول: في أحاديث الدجال

كتب الشيخ، رحمه الله، وريقات تتعلق بفتنة الدجال، ساق فيها نحو عشرين حديثًا من أحاديث الصحيحين، ثم أتبعها بأربع مقدمات:

(إحداها: أن المسلمين متفقون على تلقي جميع ما جاءت به النصوص الصحيحة من الكتاب والسنة بالتصديق والقبول...

الثانية: أن إخبارات النبي صلى الله عليه وسلم، وأوامره ونواهيه، كلها حق وصدق ونفع للعباد، وللأمة من أولها إلى آخرها. فإخباره بالدجال، وفتنته، والأمر بالتعوذ بالله من فتنته، نافع للأمة كلها...

المقدمة الثالثة: أن فتنة المسيح الدجال نوعان:

- نوع يراد به الشخص الذي وصفه النبي صلى الله عليه وسلم بالصفات السابقة.

- ونوع يراد به جنس الفتنة... فإن جنس فتنة المسيح الدجال هو: كل باطل زُوِّق وبُهرج، وحُسِّن فيه الباطل، وقُبِّح فيه الحق، وأُيِّد بالشبه التي تغر ضعفاء العقول، وتخدع غير المتبصرين. وهذا موجود وشائع. بل بحره طام في كل زمان ومكان. فالعبد مضطر غاية الاضطرار إلى ربه في أن يدفع عنه هذه الفتن التي هي من جنس فتنة المسيح الدجال؛ فتن الشبهات والشكوك، وفتن الشهوات المردية.

المقدمة الرابعة: أن الأمور التي شاهدها الناس أو شاهدوا نظيرها، إذا أخبرهم بجنسها، بيَّن لهم الشارع ما يعرفون، وأرشدهم إلى الأمر الذي يفهمون. وأما الأمور التي لم يشاهد الناس لها نظيرًا، فإن الشارع يضرب لهم فيها الأمثال، ويدخلها في العمومات اللفظية أو المعنوية. فإن أنواع المخترعات الحادثة التي لا يعرف الناس لها نظيرًا فيما سبق، قد دلهم الشارع عليها وأخبرهم بها خبرًا عموميًا، من دون أن يعيِّن أعيانها وأوصافها الحادثة)[١].

وهذه مقدمات مُسلَّمة، تتضمن إثبات حقيقة الدجال بشخصه ووصفه، وتتضمن التنبيه على جنس فتنته؛ من الدجل والتمويه والخوارق. وقد استشهد الشيخ بكلام لشيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله، قال فيه: (وفتنة الدجال لا تختص بالموجودين في زمانه. بل حقيقة فتنته: الباطل المخالف للشريعة، المقرون بالخوارق. فمن أقر بما يخالف الشريعة لخارق، فقد أصابه نوع من هذه الفتنة)[٢]. ولمَّا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وكثيرًا ما كان يقع في قلبي

---

(١) رسالة في فتنة الدجال. عبد الرحمن بن ناصر السعدي. تحقيق وتعليق: أحمد بن عبد الرحمن القاضي. ط: الثانية. دار ابن الجوزي. الدمام ١٤٢٧ هـ. (٢٧- ٣٠).

(٢) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية وأهل الإلحاد من القائلين

أن هؤلاء الطائفة- يعني الاتحادية- ونحوهم، أحق الناس باتباع الدجال)(١)، قال السعدي: (وهؤلاء الملحدون العصريون الذين ذكر الشيخ أشباههم، هم أعظم الناس قيامًا بفتنته؛ دعوة واستجابة)(٢). وهذا فقه حسن، وفهم مُتوجِّه، لا يتعارض مع إثبات حقيقة هذا الشرط (الدجال)، بل يوسع دلالاته.

ثم إن الشيخ، رحمه الله، نقل نصوصًا من مجلة "المنار"، لصاحبها السيد محمد رشيد رضا، تربط بين قيام دولة إسرائيل، وظهور الدجال، الذي يتبعه اليهود، وارتضاها، وذلك أيضًا استنباط مُتوجِّه، تؤيده النصوص. غير أن الشيخ، رحمه الله، تجاوز هذا القدر إلى مقام آخر، يُشعر أن المخترعات الحديثة من خوارق الدجال! فقد نقل قول السيد محمد رشيد رضا: (ولا شك عندنا أن الفتنة المنتظرة من أعظم فتن الأرض أو أعظمها على الإطلاق، وهي محاولة إعادة ملك اليهود، المعبر عنها بالأحاديث بفتنة الدجال)(٣) ، وأتبعه بالقول: (وأنهم يستعينون على ذلك بالاعتماد على الإنكليز، الذي هو(٤)من أكبر الدجالين، وبخوارق العلوم والفنون العصرية، والمخترعات الهائلة- إلى أن قال- ومما يؤيد أن العلوم العصرية المتنوعة هي من خوارق الدجال ما تقدم في حديث النواس بن سمعان: "قلنا يا رسول الله، وما إسراعه في الأرض؟ قال : كغيث استدبرته الريح"(٥). وهذا بأسباب المخترعات الحديثة من المراكب البرية والهوائية. وقد قال كثير من أهل العلم في قوله صلى الله عليه وسلم عن الدجال إنه "مكتوب بين عينيه كافر، يقرأه كل مؤمن؛ كاتب

بالحلول والاتحاد). أحمد بن عبد الحليم بن تيمية. تحقيق د. موسى الدويش. ط: مكتبة العلوم والحكم (٤٨٣).

(١) المرجع السابق : (٥١٤).

(٢) رسالة في فتنة الدجال. عبد الرحمن بن ناصر السعدي. تحقيق وتعليق: أحمد بن عبد الرحمن القاضي. ط: الثانية. دار ابن الجوزي. الدمام ١٤٢٧ هـ. (٣٢).

(٣)مجلة المنار . محمد رشيد رضا. الجزء الأول من المجلد الثامن والعشرين، الصادر في ٢٩/ ٨/ ١٣٤٥هـ.

(٤)هكذا في الأصل! ولعله أراد بالإفراد معنى الشعب.

(٥) قطعة من حديث طويل رواه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الفتن وأشراط الساعة- باب ذكر الدجال وصفته ما معه (٤/٢٢٥٠) برقم (٢٩٣٧).

وغير كاتب"[١]، إن هذا على جهة التمثيل، وأن معناه: أن أمره واضح، لا يخفى على كل مؤمن أنه كافر. وأن ما معه ومع أتباعه من الخوارق لا تدل على صحة قوله، وإنما هي صناعات مادية، يشترك فيها البر والفاجر.

ومما يدل على أنها تمويهات، ما تقدم في حديث المغيرة بن شعبة، الثابت في الصحيحين، قال: "ما سأل أحد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدجال أكثر مما سألته، وإنه قال لي: ما يضرك. قلت: إنهم يقولون: إن معه جبل خبز، ونهر ماء! قال: هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللهِ"[٢] الحديث. فقوله: هو أهون على الله، أي: من أن يكون لهذه المذكورات حقائق صحيحة، تدل على صدقه. وإنما معه أمور ومخترعات موجودة مشتركة. ولكن فتنته على العرب والمسلمين عظيمة، وتفوقه عليهم بالمخترعات أمر معلوم)[٣].

المناقشة: هذا تأويل ظاهر لا موجب له! ولا يصح حمل سرعته في الأرض على سرعة المراكب البرية والهوائية، ولا تأويل الكتابة بين عينيه، بأنها وقعت على جهة التمثيل. كما أنه لا دليل في حديث المغيرة أن ذلك بسبب ما معه من المخترعات المشتركة. وقد بات هذا الأمر، بعد مضي أكثر من ستة عقود على كتابته لهذه الرسالة، واضحًا جليًا فاشيًا في أركان الأرض، دون أن يصاحبه ظهور شخص الدجال الموصوف بالصفات المنضبطة بالأحاديث.

وقال، رحمه الله: (ويكون، على هذا، ذكر النبي صلى الله عليه وسلم لبعض تفاصيل فتنته في الأحاديث السابقة، على وجه التقريب والتمثيل. ويدل على ما قاله الحديث السابق ، وهو ما رواه مسلم عن نافع بن عتبة، عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: " تغزون جزيرة العرب، فيفتحها الله، ثم تغزون فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله"[٤].

فدل هذا الحديث وما تضمنه من ترتيب الفتوحات المذكورة، أنهم الأمم الذين

---

(١) صحيح مسلم في صحيحه كتاب الفتن وأشراط الساعة- باب ذكر الدجال وصفته ما معه برقم (٤/٢٢٤٨) رقم(٢٩٣٤).

(٢) صحيح البخاري كتاب الفتن – باب ذكر الدجال (٩/٧٤)، (٧١٢٢)، صحيح مسلم كتاب الآداب – باب جواز قوله لغير ابنه يا بني واستحبابه للملاطفة (٣/١٦٩٣)، رقم (٢١٥٢).

(٣) رسالة في فتنة الدجال. (٣٥، ٣٨- ٣٩).

(٤) صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة – باب ما يكون من فتوحات المسلمين (٤/٢٢٢٥)، رقم (٢٩٠٠).

وراء فارس والروم، من الأمم الفرنجية، وتوابعهم. وكونهم السبب الوحيد الذي مهد لليهود ملك فلسطين، وساعدوهم بالقوة المادية والسياسية، كما هو معروف لا يخفى على أحد. ولولا ذلك لم يطمع اليهود بتملك شبر من بلاد العرب، تصديقًا لقوله تعالى: "إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاس". فهؤلاء الناس هم الذين مهدوا لهم الملك، وتداعوا من كل قطر إلى بلاد العرب من فلسطين، كما تقدم في الحديث الصحيح أن الدجال يتبعه من يهود أصبهان سبعون ألفًا. وهذا معناه أنهم يستدعون إلى فلسطين من أقطار الأرض بسبب دعوة الدجال لهم)[1].

المناقشة: هذا تكلُّفٌ ظاهر! فالمراد بغزو الدجال في الحديث، الشخص المعين ومن تبعه، لا أمم الدجل من وراء فارس والروم، من الأمم الفرنجية، كما ذكر الشيخ. بل قد دلت النصوص الحديثية الصحيحة التي ساقها، أنه يخرج (من قبل المشرق)[2] (من أرض بالمشرق يقال لها خراسان، يتبعه أقوام وجوههم المَجان المطرَّقة) رواه الترمذي[3]، وتلك صفة الترك، (إنه خارج خلةً بين الشام والعراق) رواه مسلم[4]. كما أن ألفاظ الأحاديث تفيد أنهم يتبعونه، لا أنه يستدعيهم. فالدجال يخرج من خراسان، ثم يغيب، ويظهر خلةً بين الشام والعراق، ثم يتوجه نحو المدينة، فتصده الملائكة، فيتوجه نحو دمشق، فيكون هلاكه على يد مسيح الهدى، عيسى ابن مريم.

---

(١) رسالة في فتنة الدجال (٣٥-٣٦).

(٢) صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة–باب صيانة المدينة من قبل الطاعون (١٠٠٥/٢). رقم (١٣٨٠).

(٣) سنن الترمذي أبواب الفتن – باب ما جاء من أين يخرج الدجال. (٧٩/٤) رقم (٢٢٣٧).

(٤) صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة – باب ذكر الدجال وصفته وما معه(٢٢٥٠/٤)، رقم (٢٩٣٧).

المطلب الثاني: في أحاديث يأجوج ومأجوج

لعل أشهر قضية جرت في حياة الشيخ عبد الرحمن السعدي، رحمه الله، كلامه في مسألة "يأجوج ومأجوج"، حتى إنه ترتب عليها وشاية واستدعاء، وصاحبها خوف وقلق وانزعاج ومحنة، في فصول يطول المقام بسردها[١]، آلت إلى خير ورفعة ومنحة.

وكثير من الرواة يخطئ في حكاية مقالة الشيخ، أو يوجزها إيجازًا مخلًا، أو يخلطها بفهمه. وننقل، هاهنا، كلامه بنصه:

قال رحمه الله: (ما ورد في الكتاب والسنة من الخبر عن يأجوج ومأجوج، وما هم عليه من الصفات التي وصفها الله ورسوله، فظهرت، واتضحت، فوصلت إلى درجة اليقين، حتى تطبق عليها الأدلة الشرعية، والبراهين اليقينية، والعلم بالواقع. ويوجد كثير من المؤمنين يتوهمون، ويظنون، ويعتقدون أن يأجوج ومأجوج، أنهم إلى الآن لم يظهروا، ولم يعثر عليهم أحد، ولم يبرزوا إلى الناس، وأنهم وراء السد والردم الذي بناه ذو القرنين، وأنهم أمم عظيمة، أضعاف أضعاف الموجودين الآن في الأرض من الآدميين، في جميع جهات الأرض، وفي كل قاراتها الست المعروفة، وفي جزائرها التابعة لهذه القارات. فكل هؤلاء المذكورين عند هؤلاء الناس أقل بكثير كثير، بما لا نسبة له إلى يأجوج ومأجوج، الذين هم الآن موجودون في الأرض.

وهذا الظن غلط محض، وسببه عدم فهم ما جاء به الكتاب والسنة على وجهه في هذه المسألة، وعدم العلم بالواقع، وعدم العلم بأحوال الأرض وسكانها، مع ورود أحاديث لا خطام لها ولا زمام في صفاتهم. فتولد من ذلك كله إنكار خروجهم، وأن يأجوج ومأجوج غير الأمم الموجودين في أقطار الأرض، المعروفين؛ من الروس، والصين، واليابان، وأمريكا، وغير سكان آسيا، وسكان أفريقية، وسكان أوربا، وسكان أمريكا الجنوبية، وأمريكا الشمالية، وغير سكان أستراليا، وتوابع هؤلاء. فيأجوج ومأجوج عند هؤلاء، أمم غير هؤلاء! وهم في الأرض! وهم أكثر من المذكورين أضعافًا مضاعفة! وأنهم إلى الآن لم يوقف لهم على خبر!.

وأما من تدبر أوصافهم في الكتاب والسنة الصحيحة الصريحة، وطبقه على الواقع، فإنه لا يشك، ولا يستريب أنهم هؤلاء الأمم أو بعضهم. وأن ظهورهم على الوصف الذي وصفوا به في الكتاب والسنة من أعظم الآيات والأدلة على صدق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم. وأن الأوصاف

---

(١) انظر تفاصيل ذلك في مقدمة تحقيق (رسالة في يأجوج ومأجوج) (٤٦- ٥٠).

المذكورة في الكتاب والسنة الصحيحة منطبقة عليهم أشد الانطباق)[١]. ثم شرع في سياق عشرة أدلة، رآها، من الكتاب والسنة، وكلام المؤرخين والمفسرين، في تأييد ما ذهب إليه.

وقد تضمن كلام الشيخ على هذا الشرط من أشراط الساعة، عدة أمور، مبثوثة في رسالته، ننقلها بألفاظه، مرتبة ترتيبًا موضوعيًا، يجلي رأيه، ثم نتبعها بالبحث والمناقشة:

أحدها: (أنهم من ذرية آدم ...من ذرية يافث بن نوح)[٢]وأن صفاتهم كصفات سائر بني آدم، وأشار إلى (ورود أحاديث لا خطام لها ولا زمام في صفاتهم)[٣]. وقد استدل له الشيخ، رحمه الله، بحديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ، قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟، قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَيُّنَا ذَلِكَ الوَاحِدُ؟ قَالَ: أَبْشِرُوا، فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلًا وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا. ثُمَّ قَالَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ" فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ" فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّعَرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَبْيَضَ، أَوْ كَشَعَرَةٍ بَيْضَاءَ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَسْوَدَ)[٤]. وإنما نبّه الشيخ على هذا، لما يتداوله بعض الجهال من خرافات بلا خطام ولا زمام من صفاتهم، فقال: (وأما ما يوجد من الآثار الدالة على طولهم المفرط، وقصرهم المفرط، وصفاتهم المخالفة لصفات الآدميين، فكلها كذب، مخالفة للنصوص الصحيحة، وللواقع، لا يحل اعتقادها، والاعتماد عليها)[٥].

---

(١) رسالة في فتنة الدجال. (٧٢- ٧٣).

(٢) المرجع السابق (٧٩).

(٣) المرجع السابق (٧٣).

(٤) صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء – باب قصة يأجوج ومأجوج (٤/ ١٣٨) رقم (٣٣٤٨).

(٥) رسالة في يأجوج ومأجوج (٨٤).

المناقشة: هذا الذي قرر الشيخ، حق لا مرية فيه، للأدلة الصحيحة. وقد سبقه في التنبيه على بطلانها جمع من العلماء والمفسرين، كابن كثير، رحمه الله، فقال إثر حكايتها: (فكل هذه أقوال بلا دليل، ورجم بالغيب بغير برهان. والصحيح أنهم من بني آدم، وعلى أشكالهم وصفاتهم)(١).

ثانيًا: (أنهم ليسوا عالمًا غيبيًا، كالجن والملائكة، لا يشاهدهم الناس، بل هم ظاهرون محسوسون مشاهدون. فلا يمكن لأحد أن يقول: قد يكونون موجودين، وقد حجب الله عنهم الأبصار. فلو قال أحد هذا القول، عرف أنه خلاف الأدلة الصحيحة، وخلاف الواقع. وهو قول بلا علم. بل قول مناف لما علم من الآيات والأحاديث أنهم آدميون يشاهدون، ويفسدون في الأرض، ويجوبون مشارق الأرض ومغاربها، وغير ذلك من صفاتهم)(٢).

وقد دلل الشيخ لهذه القضية بأنواع الأدلة الشرعية، والحسية؛ كحديث "بعث النار" المتقدم، والمتضمن إثبات كثرتهم الكاثرة، ونسبتهم الغالبة على بني آدم، فكيف يتوهم متوهم أنه لم يعثر لهم على أثر، ولم يوقف لهم على خبر! قال رحمه الله: (فَيَالله! أين هؤلاء؟ وأين محلهم؟ وأين ديارهم الواسعة من الأرض، وقد اكتشفت جميع قارات الأرض، وما يتبعها من الجزائر؟)(٣).

ثم أجرى مسحًا جغرافيًا، في الدليل السابع، تتبع فيه قارات الدنيا وتوابعها من الجزر، وعقب عليها بالقول: (فهذه قارات الأرض كلها، باتفاق العارفين بها. ويتبعها جزر صغيرة وكبيرة ملحقة بهذه القارات. وهذه القارات قد عرفها الناس كلها معرفة تامة، وعرفوا أجناس أهلها، وأصنافهم، وتغلغل علمهم إلى معرفة إحصائياتهم، وتيقنوا يقينًا لا شك فيه أن المذكورين في هؤلاء القارات الست هم أهل الأرض، وأنه لا يوجد على وجه الأرض سواهم.

---

(١) البداية والنهاية. عماد الدين، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي. تحقيق : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي.ط: مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية. دار هجر. الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.(٢: ٥٥٤).

(٢) رسالة يأجوج ومأجوج (٨٠).

(٣) رسالة في يأجوج ومأجوج (٨٠).

فمتى أخبرنا مخبر أن في الأرض غير هؤلاء المذكورين بأضعاف مضاعفة، علمنا غلطه الفاحش، وأنه خلاف الواقع المقطوع به)[١].

ثم عزَّز ما تقدم بالدليل الثامن المتعلق بإثبات كروية الأرض، ليصل إلى النتيجة التالية: (ومعلوم أنه إذا كانت الأرض كروية، كانت محصورة تحيط بها معارف الناس، فدعوى المدعي أن هنا أممًا أكثر من المذكورين المعروفين، وهم على وجه الأرض، دعوى مخالفة للدليل القاطع، وما كان كذلك فهو معروف الخطأ)[٢].

المناقشة: يعتقد الشيخ، رحمه الله، كسائر من سبقه من أصناف العلماء، أن المواطنَ الأصلية لهاتين الأمتين من بني آدم، مشرقُ الأرض، وتحديدًا شمالي شرق آسيا، وأكثر تحديدًا "منغوليا".وقد عيَّن ابن كثير، رحمه الله، جنسهم ومواطنهم، فقال: (فيأجوج ومأجوج طائفة من الترك، وهم مغل المغول. وهم أشد بأسًا، وأكثر فسادًا من هؤلاء)[٣] ، وقال أيضًا: (وهم كالناس، يشبهونهم، كأبناء جنسهم من الترك الغُتْم، المغول، المخرزمة عيونهم، الذلف أنوفهم، الصهب شعورهم، على أشكالهم وألوانهم)[٤]. وقد وافقه الشيخ في رسالته، في مواضع، فقال: (وأن الترك طائفة منهم)[٥]، وقال عن التتر: (هم من عنصر يأجوج ومأجوج، ومن نفس ديارهم، كما ذكره أهل السير، ومنهم ابن كثير رحمه الله)[٦] ، وقال عنه أيضًا: (وابن كثير في تاريخه، جزم بأنهم "منغوليا")[٧]، وحكى اتفاق المحققين من المفسرين، والمؤرخين، وأهل السير والأنساب، من المتقدمين والمتأخرين: (أن يأجوج ومأجوج في شمالي آسيا،

---

(١) المرجع السابق (٩١).

(٢) المرجع السابق (٩٣).

(٣) البداية والنهاية (٢/٥٥٣).

(٤) المرجع السابق (١٩/ ٢٣٩).

(٥) رسالة يأجوج ومأجوج (٧٩).

(٦) المرجع السابق (٨٣).

(٧) المرجع السابق (٨٤).

وأنهم جيران الأتراك)[١]، وقال أيضًا: (فإن اسم بلاد يأجوج ومأجوج الأصلية، هو بلاد "منغوليا: وشرقي تركستان، لا زال معروفًا. وتلك القبائل لا يزال يقال لهم يأجوج ومأجوج)[٢].

ونازع في كونهم معلومين للناس، مشاهدين، بعض المعاصرين، منهم الشيخ حمود ابن عبد الله التويجري، رحمه الله، فقال: (وأما كون السائحين لم يروا يأجوج ومأجوج، ولا سد ذي القرنين، فلا يلزم منه عدم السد، ويأجوج ومأجوج، فقد يصرف الله السائحين عن رؤيتهم، ورؤية السد، وقد يجعل الله فوق السد ثلوجًا متراكمة، بحيث لا تمكن رؤية السد معها، أو يجعل الله غير ذلك من الموانع التي تمنع من رؤية يأجوج ومأجوج ورؤية السد)[٣] ، وقال أيضًا: (إن قدرة بني آدم تعجز عن اكتشاف سطح الأرض كله. ولو قدر أنهم اكتشفوه، فقد يصرف الله السائحين عن رؤية يأجوج ومأجوج، ورؤية السد لما له في ذلك من الحكمة)[٤]. ويجاب عن ذلك: أن النصوص الصحيحة لا تدل على عدم إمكان رؤيتهم، وإلا لما التفت إلى قول قائل بعدها. وإذا كانوا أمتين كبيرتين من بني آدم، من أمة الدعوة،، ما كانتا في شيء إلا كثرتاه، فيمتنع في سنن الله الكونية ألا يبصرهم، ولا يشعر بهم أحد! وقد وقع الاتفاق على جهتهم من الأرض المكشوفة المعمورة. ولا يصح تحميل النصوص ما لا تحتمل، ومعارضة صريح المحسوس، بظن أو وهم لا يقوم على دليل.

وممن نازع في كونهم معلومين محسوسين، أيضًا، الشيخ عبد الكريم الحميد، فقال في رده على السعدي: (عدم العلم بالشيء، غير العلم بعدمه. فكون الإنسان لا يعلم الشيء، أو لا يعلم وجوده لا يستلزم أن يكون هذا الشيء غير موجود)[٥] ويجاب عنه، بأنه قد وقع العلم قطعًا بوجود يأجوج ومأجوج في الأرض، وليس الشأن في ذلك، وإنما في كونهم محجوبين غير محسوسين لبقية الناس. بل قد ذكر المنازع: (أن العلماء ذكروا جهة السد، وأنه في شرقي

([١]) المرجع السابق (٨٨).

([٢]) المرجع السابق (٩٤).

([٣]) الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر (٣١٥).

([٤]) الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر (٣٢١).

([٥]) إبطال دعوى الخروج ليأجوج ومأجوج (٣٧).

الأرض، في جهة الشمال، في زاوية الأرض الشرقية الشمالية. ذكر ابن كثير هذا في تاريخه، ، ونقل حديثًا قال: ذكره البخاري معلقًا بصيغة الجزم: أن رجلًا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: رأيت السد. قال: كيف رأيته؟ قال: مثل البرد المحبَّر. فقال: رأيته. وذكر ابن كثير أن الخليفة الواثق بعث رسلًا من جهته يكشفوا السد، وأنهم وصلوا إليه، وعادوا وأخبروه عن صفته. وقال القرطبي في قوله تعالى: "حتى إذا بلغ بين السدين": قال: وهما جبلان من قِبَل أرمينية وأذربيجان. أما نفي السعدي حجب الله الأبصار عنهم بدعوى أنهم ليسوا عالمًا غيبيًا؛ كالملائكة والجن، وأنهم آدميون يُحسَّون، ويُشاهدون، فخطأ فاحش، وغلط واضح. وما هو دليله على نفي حجب الله الأبصار عن الأشياء المحسوسة المشاهدة من الآدميين وغيرهم)[١]. والجواب عن ذلك أن يقال: بل أين الدليل على حجب الله الأبصار عنهم، وقد كانوا مشاهدين، محسوسين، مفسدين في الأرض؟! ليس في النصوص الصحيحة ما يقتضي ذلك. وقد ذكر المنازع شواهد من السيرة لحجب الأبصار عن بعض المحسوسات، وكلها آيات نبوية، في قضايا آنية، لا تقاس بالمسألة محل النزاع. كما استدل بوجود الدجال في بعض جزر البحر، على إبطال زعم اكتشاف جميع الأرض، ولا سواء! فإن "الدجال" شخص واحد، قد يصرف الله عنه الأبصار، ويغيبه في جزيرة من جزر البحر. ومع ذلك فقد رآه تميم الداري، رضي الله عنه، وأصحابه[٢]، وربما رآه غيرهم. أما هاتين الأمتين الكبيرتين، فتشغلان مساحة كبيرة من الأرض تتناسب مع كثرتهما، ولا مُلجئ لإنكار ذلك.

الترجيح: ما قرره الشيخ في هذا المقام حق أيضًا، ولا يجوز معارضته بالأوهام، والرواسب الذهنية السابقة التي لم تؤسس على دليل، بل ولا التوقف فيه، فإن ذلك مما يشين الشريعة، ويعرض حملتها للاستهجان بلا موجب. وإذا كان الشيخ يقرر ذلك بما توفر لديه من "علم الهيئة" قبل نحو ثمانين سنة[٣]، فكيف اليوم، وقد بات كل أحد يتمكن عبر الخرائط المتصلة بالأقمار الصناعية من فحص أصغر بقعة على وجه الأرض! فأين يذهب يأجوج ومأجوج، على كثرتهم الهائلة، عند هؤلاء؟

---

(١) المرجع السابق (٣٧- ٣٨).

(٢)انظر حديث "الجساسة" في صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة – باب قصة الجساسة (٤/ ٢٢٦١)، برقم (٢٩٤٢).

(٣) أخبرني ابنه (أحمد) رحمهما الله، أن والده الشيخ كان يستعين بالخرائط الجغرافية، ومجسم الكرة الأرضية.

ثالثًا: أن السد قد اندك: قال رحمه الله: (هذا الردم الذي بناه ذو القرنين يسير جدًا بالنسبة إلى السدود الطبيعية التي عن يمينه وشماله، فلمَّا بناه صاروا لا يستطيعون أن يظهروا على ذلك البنيان، ولا أن ينقبوه، وكذلك لا يستطيعون الصعود على سلاسل تلك الجبال الشاهقة، ولا النفوذ من وراء البحار. فمكثوا على ذلك مددًا طويلة، وهم منحازون في ديارهم وأماكنهم، لا سبيل لهم إلى النفوذ من تلك الحواجز والحوائل، لعدم الأسباب التي تمكنهم من ذلك. ثم بعد ذلك بمدد، ترقت الصناعات، وقويت المخترعات، وتنوعت الأسباب التي مكنتهم من النفوذ من تلك الحواجز والحوائل. وكان مبادئ ذلك في وقت النبي صلى الله عليه وسلم، من حين قال ذلك في الحديث الثابت في الصحيحين: "ويل للعرب من شر قد اقترب. فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه"، وحلَّق الإبهام والسبابة)[1] ، و(أن ردم يأجوج ومأجوج انفتح منه ذلك الوقت هذا المقدار، وأنه لا يزال في زيادة حتى زال واندك) [2].

وحاصل هذا الكلام أن ردم ذي القرنين، لم يعد مانعًا ليأجوج ومأجوج من الاتصال بمن حولهم، وإنما دفع الله به فسادهم عن قوم مخصوصين، في جهة مخصوصة، في وقت مخصوص، وأن مبتدأ انفتاحه كان زمن النبوة، حتى زال واندك.

المناقشة: قد سبقه إلى هذا الفهم المحدث محمد أنور الكشميري (المتوفى سنة ١٣٥٢هـ) رحمه الله، وقرره بصورة أكثر وضوحًا، فقال: (إن سد ذي القرنين قد اندك اليوم، وليس في القرآن وعدٌ ببقائه إلى يوم خروج يأجوج ومأجوج، ولا خبرٌ بكونه مانعًا من خروجهم، ولكنه من تبادر الأوهام فقط، فإنه قال: ﴿ ۞وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾ [الكهف: ٩٩]، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾ [الأنبياء: ٩٦] الخ، فلهم خروج مرةً بعد مرة[3]، وقد

---

[1] صحيح البخاري – كتاب الأنبياء –باب قصة يأجوج ومأجوج (١٣٨/٤) رقم(٣٣٤٦)، صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة– باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج (٢٢٠٧/٤)، رقم (٢٨٨٠).

[2] **رسالة (يأجوج ومأجوج). عبد الرحمن بن ناصر السعدي. تحقيق وتعليق د. أحمد القاضي. ط: الثانية. دار ابن الجوزي. الدمام ١٤٢٧هـ (٧٦- ٧٧).**

[3] **انظر : يأجوج ومأجوج : فتنة الماضي والحاضر والمستقبل. د. الشفيع الماحي أحمد. ط: دار ابن حزم. الأولى. بيروت. ١٤١٦هـ ١٩٩٦م . (٥). وقد عدَّ نحو سبع**

خرجوا قبل ذلك أيضًا، وأفسدوا في الأرض بما يستعاذ منه. نعم يكون لهم الخروج الموعود في آخر الزمان، وذلك أشدها. وليس في القرآن أن هذا الخروج يكون عقيب الاندكاك متصلًا. بل فيه وعد باندكاكه فقط، فقد اندك كما وعد. أما أن خروجهم موعود بعد اندكاكه، بدون فصل، فلا حرف فيه)[١]. وقال عند آية الأنبياء: (ولم يذكر في القرآن لفظ الخروج من هذا السد فقط، هاهنا، ولما ذكر في "الأنبياء": ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ ﴾ ولم يذكر السد والردم، فكان الخروج لعمومهم)[٢].

وقد نازع في هذا الفهم بعض المعاصرين، واستظهروا أن هاتين الأمتين لا تزالان معزولتين عن سائر بني آدم خلف ردم ذي القرنين، حتى قرب قيام الساعة. قال الشيخ حمود التويجري، رحمه الله: (إن يأجوج ومأجوج قد حيل بينهم وبين الخروج على الناس بالسد الذي بناه ذو القرنين، ولا ينفتح هذا السد إلا في آخر الزمان، بعد نزول عيسى وقتل الدجال)[٣].

وقال الشيخ عبد الكريم الحميد: (أن الردم يحول بينهم وبين الخروج، وأنه بعد نزول عيسى وقتله الدجال، يجعل الله هذا الردم مساويًا للأرض، فلا يخرجون إلا معه)[٤].

ومن أقوى ما يستدل به القائلون بحبس يأجوج ومأجوج خلف السد، إلى قرب الساعة، ماررواه الإمام أحمد، رحمه الله، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ لَيَحْفِرُونَ السَّدَّ كُلَّ يَوْمٍ، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ، قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا فَسَتَحْفِرُونَهُ غَدًا، فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ كَأَشَدِّ مَا كَانَ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مُدَّتُهُمْ، وَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْعَثَهُمْ عَلَى النَّاسِ، حَفَرُوا، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ، قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا

خروجات تاريخية.

(١) فيض الباري على صحيح البخاري . محمد أنور الكشميري. ط: دار المأمون . شبرا . الأولى ١٣٥٧هـ – ١٩٣٨م (٤/ ٢٣).

(٢) المرجع السابق :(٤/ ٢٦).

(٣) الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر (٣٢٩).

(٤) إبطال دعوى الخروج ليأجوج ومأجوج (١٦).

فَسَتَحْفِرُونَهُ غَدًا، إِنْ شَاءَ اللهُ، وَيَسْتَثْنِي، فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ حِينَ تَرَكُوهُ، فَيَحْفِرُونَهُ وَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ)[١] الحديث. وهو مُشعر بأن المانع لهم من الخروج هو السد، وأنه لا صلة لهم بالناس حتى يحفروه، فيخرجون على الناس. وقد رواه الترمذي أيضًا، وقال: (هذا حديث حسن غريب إنما نعرفه من هذا الوجه مثل هذا)(٢).

وقال ابن كثير، رحمه الله، عقيب سياقه: (وَهَذَا إِسْنَادُهُ قَوِيٌّ، وَلَكِنْ فِي رَفْعِهِ نَكَارَةٌ؛ لِأَنَّ ظَاهِرَ الْآيَةِ يَقْتَضِي أَنَّهُمْ لَمْ يَتَمَكَّنُوا مِنَ ارْتِقَائِهِ وَلَا مِنْ نَقْبِهِ، لِإِحْكَامِ بِنَائِهِ وَصَلَابَتِهِ وَشِدَّتِهِ. وَلَكِنْ هَذَا قَدْ رُوِيَ عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ: أَنَّهُمْ قَبْلَ خُرُوجِهِمْ يَأْتُونَهُ فَيَلْحَسُونَهُ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُ إِلَّا الْقَلِيلُ، فَيَقُولُونَ: غَدًا نَفْتَحُهُ. فَيَأْتُونَ مِنَ الْغَدِ وَقَدْ عَادَ كَمَا كَانَ، فَيَلْحَسُونَهُ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُ إِلَّا الْقَلِيلُ، فَيَقُولُونَ كَذَلِكَ، وَيُصْبِحُونَ وَهُوَ كَمَا كَانَ، فَيَلْحَسُونَهُ وَيَقُولُونَ: غَدًا نَفْتَحُهُ. وَيُلْهَمُونَ أَنْ يَقُولُوا: "إِنْ شَاءَ اللَّهُ"، فَيُصْبِحُونَ وَهُوَ كَمَا فَارَقُوهُ، فَيَفْتَحُونَهُ. وَهَذَا مُتَّجِه، وَلَعَلَّ أَبَا هُرَيْرَةَ تَلَقَّاهُ مِنْ كَعْبٍ. فَإِنَّهُ كَثِيرًا مَا كَانَ يُجَالِسُهُ وَيُحَدِّثُهُ، فَحَدَّثَ بِهِ أَبُو هُرَيْرَةَ، فَتَوَهَّمَ بَعْضُ الرُّوَاةِ عَنْهُ أَنَّهُ مَرْفُوعٌ، فَرَفَعَهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَيُؤَكِّدُ مَا قُلْنَاهُ -مِنْ أَنَّهُمْ لَمْ يَتَمَكَّنُوا مِنْ نَقْبِهِ وَلَا نَقْبِ شَيْءٍ مِنْهُ، وَمِنْ نَكَارَةِ هَذَا الْمَرْفُوعِ- قَوْلُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ حَبِيبَةَ بِنْتِ أُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ أُمِّهَا أُمِّ حَبِيبَةَ، عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -قَالَ سُفْيَانُ: أَرْبَعَ نِسْوَةٍ-قَالَتْ: اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ نَوْمِهِ. وَهُوَ مُحْمَرٌّ وَجْهُهُ، وَهُوَ يَقُولُ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ! وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ! فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذَا"، وحلَّق. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: "نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ")[٣].كما ضعفه بعض المعاصرين بالانقطاع بين قتادة وأبي رافع، وتدليس قتادة، فضلًا عن الاختلاف في رفعه ووقفه[٤].

---

(١) مسند أحمد ط الرسالة (١٦/ ٣٦٩) (١٠٦٣٢) الترمذي (٣١٥٣)، ابن ماجة (٤٠٨٠).

(٢) انظر : سنن الترمذي (٣١٣/٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ١٩٨).

(٤) انظر في مجلة المشكاة بحثًا بعنوان (أثر فيه نظر) (١/ ١٩٩- ٢٤٩)، وآخر بعنوان

الترجيح: الذي يظهر رجحان ما ذهب إليه الشيخ، رحمه الله، ومن وافقه، من عدم كون الردم مانعًا لهاتين الأمتين الكبيرتين من الاتصال بالناس، سواءٌ قلنا باندكاك الردم أو عدمه، ونفي كونهما محبوستين خلفه، محاطتين بالحوائط والسواتر عن بقية بني آدم، وأن ذلك الردم كان رحمة من الله لأولئك القوم الذين لا يكادون يفقهون قولًا، لمَّا استنجدوا بذي القرنين، فدفع الله به شرهم عنهم ما شاء. وليس في النصوص ما يدل على عدم اتصالهم بالجهات الأخرى، وانفصالهم الدائم عن سائر البشر إلى يوم القيامة، وإنما هو نوع من التلازم الذهني، ساعد عليه أثر أبي هريرة، الذي هو أقرب إلى الإسرائيليات. وهذا القدر من الفهم الذي ذهب إليه الشيخ لا يصادم نصًا صحيحًا، ويدل عليه حديث زينب بنت جحش، رضي الله عنها، المتقدم، كما يدل عليه الواقع الراهن؛ إذ ليس ثمَّ مانع حسي يحول بين أمة هائلة من بني آدم، وبين بقية البشر. وكل ما وصفه المؤرخون القدامى، والمستكشفون المعاصرون لا يعدو أن يكون أطلالًا وآثارًا، عفا عليها الزمن.

رابعًا: أن الانفتاح قد وقع! قال رحمه الله، (فلم تزل إرادتهم تقوى، وقوتهم تزداد، وشرهم يطغى، حتى انفتحوا من كل مكان. فبرزوا من فوق رؤوس الجبال، ونفذوا فوق متون البحار، وصعدوا في جو السماء، فكان هذا مصداقًا لخبر الله ورسوله...أن ابتداء انفتاحه قد ابتدأ في زمانه. وفحوى ذلك الحديث يدل على أنه في ازدياد من وقت إلى آخر، حتى وصلوا إلى هذه الحال المشاهدة...ومعلوم أن عدم قدرتهم على واحد من الأمرين في ذلك الوقت، لعدم الأسباب التي توصلهم إلى ظهوره أو نقبه. وأما الآن، فلا يعجزون عن صعود أي جبل يكون، وأي سد يحصل، ولا على نقبه، بل يقدرون على ما فوق ذلك. فعلم بذلك أنهم استطاعوا في هذه الأوقات على النفوذ والظهور الذي كانوا سابقًا عاجزين عنه. وهذا ظاهر...فالآن قد شاهد الناس خروجهم من وراء هذه الجبال والبحار)[١]. وهذا ظاهر في إثبات الخروج والانفتاح.

وقال في (الدليل الثاني: قوله تعالى﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٦]، أي: حتى إذا انفتحوا على الناس، فبرزوا بعد ما كانوا منحازين في ديارهم، بهذا الوصف الذي ذكر الله عنهم: ﴿ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴾ أي مكان مرتفع، كالجبال وما فوقها. ''

(نظر بعد نظر) (٣/ ٨٢- ١٢١)، د. حاكم المطيري فقد قال:.........

(١) رسالة يأجوج ومأجوج (٧٦- ٧٨).

يَنْسِلُونَ" أي يسرعون. وهذا مطابق لما هم عليه؛ فإنهم في جميع أقطار الدنيا قد انفتحوا على الناس، وأتوهم من كل جانب. ولهذا أتى بأداة التعميم، وهي قوله: ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ﴾ فلم يبقَ جبل إلا صعدوه، ولا بحر عميق إلا عبروه، ولا صعب إلا سلكوه، وأبلغ من ذلك أنهم في جو الهواء ينسلون؛ أي يسرعون بالطائرات التي جابت مشارق الأرض ومغاربها، وجميع جهاتها)[١].

المناقشة: ظاهر الآيات يشعر بالاقتران بين الحدثين، فقد قال تعالى عن ذي القرنين، لمَّا أتمَّ بناء الردم: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾﴾ [الكهف: ٩٨، ٩٩]. قال الطبري، رحمه الله: (يقول: فإذا جاء وعد ربي الذي جعله ميقاتا لظهور هذه الأمة وخروجها من وراء هذا الردم لهم. جعله دكاء، يقول: سواه بالأرض، فألزقه بها)[٢] ، وقال ابن كثير، رحمه الله: (وَقَوْلُهُ: ﴿۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾أي: النَّاسَ يَوْمَئِذٍ أيْ: يَوْمَ يُدَكُّ هَذَا السَّدُّ، وَيَخْرُجُ هَؤُلَاءِ فَيَمُوجُونَ فِي النَّاس، وَيُفْسِدُونَ عَلَى النَّاسِ أَمْوَالَهُمْ وَيُتْلِفُونَ أَشْيَاءَهُمْ. وَهَكَذَا قَالَ السُّدِّيُّ: ذَاكَ حِينَ يَخْرُجُونَ عَلَى النَّاس. وَهَذَا كُلُّهُ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَبَعْدَ الدَّجَّالِ)[٣]. وقال السعدي، نفسه، في التفسير: (وقوله:﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ أي: لخروج يأجوج ومأجوج، "جَعَلَهُ" أي: ذلك السد المحكم المتقن"دَكَّاءَ" أي: دكه فانهدم، واستوى هو والأرض)[٤].

وما ذهب إليه الكشميري، والسعدي في رسالته، ينفي التلازم بين الحدثين، وهو خلاف ما ذهب إليه الطبري وابن كثير والسعدي في تفسيره، وهو متقدم بكثير على رسالته. وظاهر الآيات يشعر بالتلازم، وأن الخروج الكبير يكون بعد الاندكاك. لكن الكشميري يثبت البعدية، وينفي لزوم الاتصال، والسعدي يثبت الاندكاك والخروج الموعود في الآيات! وحصول الانفتاح

---

(١) رسالة في يأجوج ومأجوج (٧٨).

(٢) تفسير الطبري (١٨/ ١١٨).

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ١٩٩).

(٤) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (٤٨٧).

المذكور في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ۝٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٩٧ ﴾ [الأنبياء: ٩٦- ٩٧].

قال ابن جرير، رحمه الله: (حتى إذا فُتح عن يأجوج ومأجوج، وهما أمَّتان من الأمم، ردُمهما)[١]. وقال ابن كثير، رحمه الله: (وَقَوْلُهُ: ﴿ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ ﴾ يَعْنِي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إذا وُجدت هَذِهِ الْأَهْوَالُ وَالزَّلَازِلُ وَالْبَلَابِلُ، أزِفَتِ السَّاعَةُ وَاقْتَرَبَتْ)[٢].

وقال السعدي، نفسه، في التفسير: (هذا تحذير من الله للناس، أن يقيموا على الكفر والمعاصي، وأنه قد قرب انفتاح يأجوج ومأجوج، وهما قبيلتان عظيمتان من بني آدم، وقد سد عليهم ذو القرنين، لما شكي إليه إفسادهم في الأرض، وفي آخر الزمان، ينفتح السد عنهم، فيخرجون إلى الناس في هذه الحالة والوصف، الذي ذكره الله من كل من مكان مرتفع، وهو الحدب ينسلون أي: يسرعون. وفي هذا دلالة على كثرتهم الباهرة، وإسراعهم في الأرض، إما بذواتهم، وإما بما خلق الله لهم من الأسباب التي تقرب لهم البعيد، وتسهل عليهم الصعب، وأنهم يقهرون الناس، ويعلون عليهم في الدنيا، وأنه لا يد لأحد بقتالهم. ﴿ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ ﴾ أي: يوم القيامة الذي وعد الله بإتيانه، ووعده حق وصدق، ففي ذلك اليوم ترى أبصار الكفار شاخصة، من شدة الأفزاع والأهوال المزعجة، والقلاقل المفظعة، وما كانوا يعرفون من جناياتهم وذنوبهم، وأنهم يدعون بالويل والثبور، والندم والحسرة، على ما فات ويقولون لـ: ﴿ قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا ﴾ اليوم العظيم، فلم نزل فيها مستغرقين، وفي لهو الدنيا متمتعين، حتى أتانا اليقين، ووردنا القيامة، فلو كان يموت أحد من الندم والحسرة، لماتوا. "بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ" اعترفوا بظلمهم،

(١) تفسير الطبري(١٨/ ٥٢٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ٣٧٧).

وعدل الله فيهم)[١]. وذلك صريح أن المقصود خروج كبير، وانفتاح شهير متصل بقيام الساعة.

وقد تعقَّبه في رسالته، الشيخ حمود التويجري، رحمه الله، بما تقدم من الآيات، وبما سيأتي من حديث النواس بن سمعان، من كون خروجهم وانفتاحهم قرب قيام الساعة، وزاد: (قد جاء في حديث ابن مسعود، رضي الله عنه، أن الله تعالى عهد إلى عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، أنه بعد خروج يأجوج ومأجوج، وهلاكهم، فإن الساعة كالحامل المتم، لا يدري أهلها متى تفاجئهم بولادها، ليلًا أو نهارًا[٢]. وهذا يدل على أن خروجهم إنما يكون إذا دنا قيام الساعة. وقد روى ابن جرير عن حذيفة، رضي الله عنه، أنه قال: "لو أن رجلًا افتلى فلوًا، بعد خروج يأجوج ومأجوج، لم يركبه حتى تقوم الساعة"[٣]. ويشهد له ما رواه ابن أبي شيبة عن حذيفة، رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله، فما بعد الدجال؟ قال: "عيسى بن مريم"، قلت: : فما بعد عيسى بن مريم؟ قال: "لو أن رجلًا أنتج فرسًا لم يركب مهرها حتى تقوم الساعة"[٤]. وفي هذا أبلغ رد على من زعم أن يأجوج ومأجوج قد خرجوا)[٥].

ولو أن الشيخ، رحمه الله، عدَّ ما جرى ويجري نوعًا من الخروج، لكان له محمل محتمل، لكنه فسر به آيات الخروج الكبير المقترن ببقية أشراط الساعة، المتصل بقيامها. وهذا غير مسلم شرعًا، ولا واقعًا. وذلك لمنافاته دلالة الآيات السابقة، ومنافاته دلالة حديث النواس بن سمعان، رضي الله عنه، الطويل، في ذكر الدجال ونزول عيسى ابن مريم، عليه السلام، الثابت في صحيح مسلم، وفيه: (فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَٰلِكَ إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ. وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ،

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (٥٣١).

(٢) مسند الإمام أحمد (١٩/٦).

(٣) تفسير الطبري (٥٣٣/١٨).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٤٤٧/٧).

(٥) الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر (٣٢٥).

فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللهِ، فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ)[١] ، وزاد في رواية، بعد قوله "لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ": (ثُمَّ يَسِيرُونَ حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى جَبَلِ الْخَمَرِ، وَهُوَ جَبَلُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَيَقُولُونَ: لَقَدْ قَتَلْنَا مَنْ فِي الْأَرْضِ هَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ مَنْ فِي السَّمَاءِ، فَيَرْمُونَ بِنُشَّابِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ، فَيَرُدُّ اللهُ عَلَيْهِمْ نُشَّابَهُمْ مَخْضُوبَةً دَمًا)[٢]. فهذا البيان والتفصيل، يدفع ما توهمه السعدي رحمه الله، من حصول الانفتاح الموعود، والخروج الهائل بين يدي الساعة. وقد أورده على نفسه وأجاب عنه بما لا طائل من ورائه، من ثلاثة أوجه:

(الأول: أن هذا الحديث على فرض مخالفته ومناقضته لما دلت عليه تلك النصوص، فإنه لا يقاومها، ولا يقدم ما يظهر من دلالته على دلالتها. هذا على وجه التنزل، وإلا فليس، ولله الحمد، بينها مخالفة.

الوجه الثاني: أن دلالة تلك النصوص على صفاتهم المذكورة المشاهدة عيانًا، دلالة يقينية، لا يمكن أن يرد ما يخالفها ويناقضها.

الثالث: إن إخباره بخروجهم بعد قتل عيسى للدجال، وقتل المسلمين لليهود، لا يدل على أنهم لم يخرجوا قبل ذلك. بل هذا خروج من محل إلى محل)[٣].

والجواب عن الوجه الأول: أن الحديث، بحمد الله، ليس مخالفًا للآيات، بل هو موافق لها، مكمل لدلالتها، ليس بينهما أدنى مقاومة. لكنه مخالف لما انفرد الشيخ، رحمه الله، بفهمه منها.

والجواب عن الوجه الثاني: أن دلالة تلك النصوص على ما فهمه الشيخ، رحمه الله، ظنية، بل وهمية! وليست، بحمد الله، منافية لبقية النصوص، حتى يطلب الترجيح.

---

(١) صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة – باب ذكر الدجال وصفته وما معه(٤/٢٢٥٣)، رقم (٢٩٣٧).

(٢)صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة – باب ذكر الدجال وصفته وما معه (٤/ ٢٢٥٥)، رقم (٢٩٣٧).

(٣) رسالة يأجوج ومأجوج (٨٥).

والجواب عن الوجه الثالث: التسليم بذلك، وأن الخروج قد تكرر. ولكن محل النزاع في حمل الآيات على خروج متقدم على ما ورد في حديث النواس بن سمعان، وحسبانه أحد أشراط الساعة الكبرى، دون الخروج الموصوف في حديث النواس بن سمعان، المقترن بخروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم.

ولما استصحب الشيخ، عفا الله عنه، هذا الفهم، واستحكم عنده إلى درجة اليقين، حمله ذلك على مزيد تأويل، فقال: (الوجه الرابع: أن النبي صلى الله عليه وسلم كثيرًا ما يمثّل للناس بما كانوا يعرفون، خصوصًا في الأمور التي لم يشاهد المسلمون لها مثيلًا ولا نظيرًا، في ذلك الوقت. فإخباره صلى الله عليه وسلم برميهم بنُشَّابهم إلى السماء، إلى آخره، يدل على قوتهم وقهرهم لأهل الأرض بسلاحهم ومخترعاتهم. وكأن في هذا إشارة إلى طيرانهم في الأفق، وإلا فمن المعلوم أن سلاح النشّاب ونحوه من السلاح الأول الضعيف قد نسخ من زمان، وأن الأسلحة لا تزال في رقي وازدياد، ولا يرجى في وقت من الأوقات أن يعود الناس إلى سلاح النُّشَّاب، بل الذي يدل عليه الاستقراء والتتبع للأحوال أن السلاح يترقى ترقيًا فاحشًا، ينسي هذا السلاح الموجود، حتى يكون مادة هلاك الخلق وتدميرهم. ويقع ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من فناء الرجال بالقتل، حتى يكون قيِّم خمسين امرأة رجل واحد. والرسول صلى الله عليه وسلم لا يخبر بما تحيله العقول، بل كلامه فيه الشفاء، والعصمة، والنور، والبرهان، والحق، واليقين. وأما ما فيه من ذكر ماء البحيرة، وأنهم يشربونه، فإما أن ذلك إشارة وتنبيه على كثرتهم العظيمة التي هم في الحقيقة عليها، وإما أن ماء البحيرة سيستخرجونه بالآلات، إلى عمارة حروثهم، وزروعهم، حتى ينشفوها. وهذا شرب حقيقي. ويدل على هذا أن ماء البحيرة، لو اجتمع جميع من على وجه الأرض من الآدميين والحيوانات، فشربوا منها بأفواههم لم ينشفوها. والنبي صلى الله عليه وسلم ينزه أن يتكلم بخلاف الواقع. فتعين أحد التأويلين، إن كان حديث النواس بن سمعان محفوظًا، جمعًا بين النصوص. ويدل على التأويل الأخير أن الصهيونيين الذين أكثرهم من عنصر الفرنج، الذين أتوا من البلاد الخارجية، لا زالوا يستخرجون ماء البحيرة بالمكائن وغيرها، ولا زالوا مُجدِّين على هذا الأمر. ولا بد أن يقع جميع ما أخبر به الله ورسوله)[١].

ولا يخفى ما في هذا الكلام من التأويل المتكلف، فقد اضطر الشيخ إلى:

([١])رسالة (يأجوج ومأجوج). عبد الرحمن بن ناصر السعدي. تحقيق وتعليق د. أحمد القاضي. ط: الثانية. دار ابن الجوزي. الدمام ١٤٢٧هـ (٨٧ – ٨٨).

١- الشك في كون حديث النواس بن سمعان محفوظًا! وهو بحمد الله ثابت محفوظ في صحيح مسلم، لا مخالف له.
٢- تأويل "النُّشَّاب" على خلاف ظاهره، ليوافق السلاح السائد اليوم. والنبي صلى الله عليه وسلم أعلم بما قال، ولو شاء لأجمل وقال: بسلاحهم. وربما فنيت أسلحة المتطورة بفعل الحروب المدمرة، وآل الناس إلى الأدوات الأولى، كما تشهد لذلك أحاديث أخر، من أحاديث آخر الزمان. فلا موجب للتأويل.

٣- تأويل شربهم بحيرة "طبرية"، باستخراج الآلات والمكائن ماءها لأغراض السقي والحرث والزرع، مما يجعله أمرًا معتادًا، لا دالًّا على كثرتهم، كما يفهم من الحديث. ومع ذلك، ورغم مرور عقود من الزمن، فإن بحيرة "طبرية" لا تزال تجيش بالماء.

الترجيح: أخطأ الشيخ رحمه الله، في جزمه بوقوع الخروج، وحصول الانفتاح ليأجوج ومأجوج، وتكلف في تأويل النصوص في هذا المقام، بما لم يسبق إليه.

خامسًا: (أن يأجوج ومأجوج هم هؤلاء الأمم؛ الروس، والصين، وأمريكا، والإفرنج، ومن تبعهم)[١]. وقد استدل، رحمه الله، بجملة أمور:

أحدها: قوله تعالى: ﴿ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٦]، فقال: (فلم يبق جبل إلا صعدوه، ولا بحر عميق إلا عبروه، ولا صعب إلا سلكوه، وأبلغ من ذلك أنهم في جو الهواء ينسلون، أي يسرعون بالطائرات التي جابت مشارق الأرض ومغاربها، وجميع جهاتها. فإذا لم يصدق عليهم هذا الوصف، فمن تراه يصدق عليه؟! وإذا لم ينطبق عليهم هذا النعت فأخبرني بمن ينطبق عليه؟!)[٢].

الثاني: بحديث: (مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّعَرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَبْيَضَ، أَوْ كَشَعَرَةٍ بَيْضَاءَ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَسْوَدَ)[٣]، فقال: (وهذا الحديث مطابق لأحوال هذه الأمم الموجودين؛ الروس، والصين، واليابان، والفرنج، ومن

---

(١) رسالة يأجوج ومأجوج (٧٨).

(٢)المرجع السابق (٧٨).

(٣) تقدم تخريجه.

وراءهم من أهل أمريكا، فإنه وصفهم بالكثرة العظيمة، وأن العرب، ومن جاورهم بالنسبة إليهم كالشعرة الواحدة بالنسبة إلى شعر جلد الثور)[١].

الثالث: أنهم (منغوليا الذين تفرعت عنهم التتر، والصين، واليابان، والروس، وغيرهم من الأوربيين، كما ذكر ذلك المعتنون بالأنساب. ومن وراءهم من الأمم؛ كأمريكا، حكمهم حكمهم)[٢]. وقال في معرض رده على المعارضين : (وكذلك يظنون أن الأسماء تبقى على الدوام. فلما رأوا أن هذه الأمم لها أسماء مخصوصة، كالروس واليابان، ونحوهم، ظنوا أنهم غير يأجوج ومأجوج. وهذا غلط واضح. فكم تنقلت وتغيرت الأسماء؛ أسماء الجهات، والحكومات، والعناصر. وكم تغيرت من اسم إلى اسم آخر. وكم اندمجت أمم بأمم)[٣].

الرابع: (من زعم أن يأجوج ومأجوج غير هؤلاء الأمم الذين ذكرنا، فإن قوله يتضمن المحال، لأن هذا القائل يدعي، ويعتقد أنهم أمم عظيمة من بني آدم ، وأنهم أكثر من هؤلاء الأمم الذين يعرفون الآن على وجه الأرض كلها بأضعاف مضاعفة. وهذا قول محال ينزه الشارع من أن ينسب إليه هذا القول)[٤]

الخامس: (أن دلالة الكتاب والسنة الصحيحة، والأوصاف المذكورة فيهما ليأجوج ومأجوج، لا تصدق إلا على من ذكرنا من الأمم)[٥]

السادس: (أن لفظ "يأجوج ومأجوج" واشتقاقه من الأجيج والسرعة، ووصف الشارع لهم بذلك يدل على ما ذكرنا. ولهذا كان الأولى أن يكون اسم جنس، وإن كان طائفة من أهل العلم يرون أنهم طائفة مخصوصة من دول السوفييت، وهم المعروفون الآن بهذا الاسم. فكونهم اسم جنس يشملهم، ويشمل من وراءهم)[٦] ثم ساق نقولًا متعددة من كلام معاصريه المتضمنة

---

(١) رسالة يأجوج ومأجوج (٧٩- ٨٠).

(٢) رسالة يأجوج ومأجوج (٨٤).

(٣) رسالة يأجوج ومأجوج (٩٢).

(٤) رسالة في يأجوج ومأجوج (٨٩- ٩٠).

(٥) رسالة يأجوج ومأجوج (٩٤).

(٦) رسالة يأجوج ومأجوج (٩٥)، وانظر ما بعدها.

لغزوات المجار والمغول والقوط، الذين هم من نسل يأجوج ومأجوج، واختلاطهم بالأمم، حتى شملهم وصفهم وجنسهم.

فهذه ستة أوجه ملتقطة من كلام الشيخ للتدليل على شمول لقب"يأجوج ومأجوج" لعموم الأمم المذكورة، حتى لا يكاد يخرج منها إلا العرب والأفارقة!.

ولا ريب أن هذا توسع غير مقبول، مناف للنصوص الدالة أنهما أمتان متميزتان عرقيًا، وجغرافيًا. والجواب على الوجوه السابقة كما يلي:

الأول: أن الوصف المذكور في الآية ﴿ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ سينطبق على هاتين الأمتين القابعتين في مشرق الأرض؛ في الصين ومنغوليا وما حولهما، ويقطنها مليارات من البشر. فإذا أذن الله بانفتاحهم على الناس آخر الزمان، وقع ما أخبر الله به ورسوله من النسلان والإسراع في الأرض. ولا ملجئ لحمل ذلك على ما عليه الناس اليوم.

الثاني: أن النسبة المذكورة في الحديث لا تقتضي قصر من سواهم على "يأجوج ومأجوج" المخصوصين، لقوله: (مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ)، ويأجوج ومأجوج من جملة الناس. وفي رواية: (إن أمتي في الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود)[١]، ويأجوج ومأجوج من جملة الأمم. فالنسبة لهم مضمومين إلى سائر الناس، في مجموع القرون.

الثالث: لا اعتراض على اعتبار "يأجوج ومأجوج" بعض الأمم الشرقية، وإنما على إدخال الأوربيين والأمريكان ونحوهم، فيهم، بلا دليل. فإن الأوربيين سلالات مستقلة من الروم وغيرهم. وقد جاء في الحديث: (تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ)[٢] ، ولو شاء لقال: ويأجوج ومأجوج أكثر الناس. لكنه سمى الأمم بأسمائها الموروثة.

قال الشيخ حمود التويجري، رحمه الله: (ومن المعلوم عند كل عاقل أن دول آسيا وأوربا وأمريكا لم تزل في أماكنها منذ زمان طويل، وأنه ليس بينهم وبين غيرهم سد من حديد يمنعهم من الخروج والاختلاط بغيرهم من الناس. فصفة يأجوج وماجوج لا تنطبق على الدول المعروفة الآن)[٣]. وقال أيضًا: (إن أمم الكفار، على اختلاف أجناسهم وأوطانهم، قد كانوا موجودين في جميع

---

(١) صحيح البخاري كتاب الرقاق – باب كيف الحشر (٨/ ١١٠) رقم (٦٥٢٩).

(٢) صحيح مسلم كتاب التفن وأشراط الساعة – باب تقوم الساعة والروم أكثر الناس (٤/ ٢٢٢٢)، رقم (٢٨٩٨).

(٣) الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر (٣١٥).

الجهات شرقًا وغربًا وجنوبًا وشمالًا، وعن أيمان المسلمين وعن شمائلهم ومن خلفهم، من قبل أن يوجد السد، وبعد أن وجد، ولم يزالوا على ذلك على مر الأزمان، ومع هذا فلم يؤثر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إنهم هم يأجوج ومأجوج، ولم يؤثر ذلك عن أحد من الصحابة، ولا التابعين، وتابعيهم، ولا من بعدهم من العلماء)[١].

الرابع: لا ننفي أن "يأجوج ومأجوج" أكثر الأمم التي سمى الشيخ، لكن ليس جميعهم. وإنما تتوجه هذه الحجة، على من زعم أنهم ليسوا أيًّا منهم، فأين يذهبون!

الخامس: دلالة الكتاب والسنة الصحيحة تصدق على أولئك القوم الذين يأذن الله بخروجهم آخر الزمان. ونفي ذلك، وقصره على الموجودين، تحكم وتحجر للنصوص. قال الشيخ عبد الكريم الحميد: (أَخْذُ القدر المشترك بين ما ذكره من كثرة يأجوج ومأجوج، وإفسادهم في الأرض، وبين كثرة هذه الأمم التي ذكرها وإفسادهم. واشتراك الطائفتين في بعض الخصائص لا يوجب التعامي والتغافل عن الخصائص الأخرى المُمَيِّزة التي تنفرد بها كل واحدة. ومن هنا يظهر الفرق. ومن إغفال هذه القاعدة أُتي السعدي)[٢]. وقال أيضًا: (فلو كان الأمر على ما ذهب إليه السعدي، لما خصت هذه الفرقة الأخيرة بالذكر، وشهرت بالوصف المميز لها، الذي لا يشترك معها فيه غيرها. وهي إنما ذكرت إيذانًا باقتراب الوعد الحق، وانتهاء أجل الدنيا)[٣].

السادس: دعوى أن "يأجوج ومأجوج" اسم جنس غير مسلم. بل هي اسم مختص بقوم معينين. ودعوى اشتقاقها من الأجيج والسرعة، لتسويغ شمولهم وسريانهم في جميع الأقطار، وامتزاجهم بجميع الأمم حتى غلبوا عليهم، دعوى متهافتة. قال ابن منظور، رحمه الله: (يأجوج ومأجوج، وهما اسمان أعجميان، واشتقاق مثلهما من كلام العرب يخرج من أَجَّتِ النار، ومن الماء الأجاج، وهو الشديد الملوحة، المحرق من ملوحته...هذا لو كان الاسمان عربيين، لكان هذا اشتقاقهما. فأما الأعجمية فلا تشتق من العربية)[٤].

([١]) المرجع السابق (٣٢٣- ٣٢٤).

([٢]) إبطال دعوى الخروج ليأجوج ومأجوج (٣٢- ٣٣).

([٣]) المرجع السابق (٥٥).

([٤]) لسان العرب. محمد بن مكرم بن منظور. تحقيق : أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي.ط: دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي. الأولى. بيروت

الترجيح: هذه مقامات خمس في مسألة "يأجوج ومأجوج"، اجتهد فيها الشيخ، رحمه الله، فأصاب وأخطأ، وخلاصة ذلك:

١- أصاب في كونهم من بني آدم، وأن صفاتهم الخِلقية كصفات الآدميين.

٢- أصاب في كونهم مشاهدين محسوسين، غير محجوبين، ولا مجهولين.

٣- أصاب في كونهم غير محتجزين وراء السد إلى الآن، وأنهم متصلون بالناس.

٤- أخطأ في دعوى أن الانفتاح قد وقع، وفي تأويل حديث النواس بن سمعان.

٥- أخطأ في إطلاق اسمهم على سائر أمم الكفر، أو أغلبها. والله تعالى أعلم.

١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.(٧٧/١).

المطلب الثالث: في أحاديث الدابة

كتب الشيخ رسالة في شأن "الدابة"، ظلت مخطوطةً حتى يومنا هذا(١)! وذلك أن الشيخ، رحمه الله، لم يجزم بمضمونها كما جزم فيما سواها، وخشي أن تحدث تشويشًا، فكتب على طرتها المؤرخة في ١٥ من ربيع الأول سنة ١٣٥٩هـ العبارة التالية: (في هذا الوقت لا أرى إظهارها، لما فيه من التشويش، ولأنها لم تنضج عندي تمامًا). وذيَّلها بما نصه: (والقصد أنه لقصور الأذهان عن تطبيق هذه الآية العظيمة، على ما ذكرنا، واستعجال كثير منهم بإنكار ما لم يروه في الكتب مسطرًا، رأيت من المصلحة عدم التصريح بأنها هي المراد بالآية)

وحسنًا فعل، رحمه الله، للسببين الذين أشار إليهما:

أحدهما: خوف التشويش! فقد كتبها في نفس الشهر الذي كتب فيه رسالة يأجوج ومأجوج، وترتب عليها ما ترتب من التشويش والإنكار.

الثاني: عدم نضج الفكرة لديه، وقصور الأذهان في نظره على تطبيقها على ما ذكره! فقد أغرق الشيخ، رحمه الله، في التأويل. وقال في مقدمتها: (ما زالت هذه الفكرة تقع في خاطري المرة بعد المرة، حتى ازدادت قوةً بما ستراه من أنواع الأدلة التي إن كانت صوابًا فهي من الله، وإن كانت خطأً فالإنسان محل الخطأ، ونسأل الله ألا يؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) آمين.

والأصل في هذا الباب قوله تعالى: ﴿ ۞وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [النمل: ٨٢]، وما صح فيها من أحاديث، وهي قليلة، كحديث حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ، رضي الله عنه، قالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فقالَ: (مَا تَذَاكَرُونَ؟) قالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قالَ: (إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ- فَذَكَرَ- الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ) رواه مسلم(٢).

---

(١) حصل الباحث على نسخة منقولة بخط سبطه د. عبد العزيز بن صالح الشبل، نقلها من نسخة بخط المؤلف، محفوظةٍ لدى ابنه عبد الله، بإذنه، صباح الأحد ٧/ ٥/ ١٣٩٢هـ، الموافق ١٨/ ٦/ ١٩٧٢م، في الرياض.

(٢) صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة – باب في الآيات التي تكون قبل الساعة (٢٩٠١)، رقم (٤/ ٢٢٢٥).

قال رحمه الله، في تفسير الآية: (قال المفسرون: "وقع القول عليهم": حقت كلمة العذاب، أو قربت الساعة، وظهرت علاماتها وأشراطها. "أخرجنا لهم دابةً من الأرض تكلمهم": وهي من جملة أشراط الساعة. اختلفوا في هذه الدابة، وصفتها، ومن أي نوعٍ من أنواع الحيوانات هي، أو أنها جامعة لكل نوع منها؛ ففيها من كل دابة شبه ومماثلة، اختلافًا كثيرًا. وكذلك اختلفوا من أي موضع تخرج، وهل تخرج مرةً، أم لها عدة خَرْجات، اختلافًا لا ينضبط. وفيها آثار لم تثبت ثبوتًا يوجب المصير إليه. وإنما الذي يجب المصير إليه، واعتقاده أن خروج هذه الدابة من أشراط الساعة، كما تشير إليه الآية الكريمة، وكما ثبتت به الأحاديث الصحيحة، أنها من أشراطها. وأما صفتها، وكيفيتها، وصفة تكليمها الناس، فليس في الأحاديث الصحيحة منه شيء، وإنما في الأحاديث ذكر الدابة مطلقًا. والآية الكريمة تدل على أنها اسم جنس، ولهذا قال: "دابةً من الأرض". والدابة تطلق على كل ما دبَّ ودرج، من أي نوع من أنواع الحيوانات والأرواح. فحيث لم يثبت في النص أن المراد به نوع معين، لم يجز دعوى شيء من المعينات بغير دليل).

واحترامًا لرغبة الشيخ، رحمه الله، بعدم إظهارها، ولأنها لم تنضج لديه تمامًا، ولما فيهامن الإغراق في التأويل، فإنا نكتفي بما تقدم، ونضيف إليه ما قرره في تفسيره المشهور: (أي: إذا وقع على الناس "القول" الذي حتَّمه الله وفرض وقته، "أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً" خارجة "مِنَ الأَرْضِ" أو دابة من دواب الأرض ليست من السماء. وهذه الدابة "تُكَلِّمُهُمْ" أي: تكلم العباد "أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون" أي: لأجل أن الناس ضعف علمهم ويقينهم بآيات الله، فإظهار الله هذه الدابة من آيات الله العجيبة ليبين للناس ما كانوا فيه يمترون. وهذه الدابة المشهورة التي تخرج في آخر الزمان، وتكون من أشراط الساعة، كما تكاثرت بذلك الأحاديث، لم يذكر الله ورسوله كيفية هذه الدابة، وإنما ذكر أثرها، والمقصود منها، وأنها من آيات الله، تكلم الناس كلامًا خارقًا للعادة، حين يقع القول على الناس، وحين يمترون بآيات الله، فتكون حجة وبرهانًا للمؤمنين، وحجةً على المعاندين)[1].

---

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٣/ ١٢٥٩- ١٢٦٠ (ط: ابن الجوزي)

المطلب الرابع: في أحاديث متفرقة

أشار، رحمه الله، إلى حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، قالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ العِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلاَزِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الهَرْجُ -وَهُوَ القَتْلُ القَتْلُ- حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المَالُ فَيَفِيضَ)(١) (والحديث الثابت في الصحيح، صريح في هذا، فإنه أخبر صلى الله عليه وسلم أنه يتقارب الزمان، فظهر مصداقه في هذه الأوقات، بقرب المواصلات، واتصال الأخبار بجميع أهل الأقطار، حتى كأن الدنيا كلها بلد واحد، من تقارُب ما بينها. وتقارُب الزمان يلزم منه تقارُب المكان. وقد كان هذا الحديث مشكلًا معناه على أهل العلم قبل هذا الوقت، فلما تم للبشر ما تم لهم من هذا التقارب الباهر، لم يشك أحدٌ أن هذا مراد الحديث، وأن من لوازم إخباره صلى الله عليه وسلم بذكر وجود الأسباب المتنوعة التي يحصل بها التقريب، لأن إخبار الشارع بالشيء، إخبار به، وبما لا يتم إلا به، كما أن أمره بالشيء أمر به، وبما لا يتم إلا به، والوسائل لها أحكام المقاصد)(٢).

وقد ذكر الحافظ ابن حجر، رحمه الله أقوالًا عدة، في تفسير "تقارب الزمان: نوردها منسوبةً مختصرة(٣):

أحدها: قول ابن بطال: (تَقَارُبُ أَحْوَالِ أَهْلِهِ فِي قِلَّةِ الدِّينِ، حَتَّى لَا يَكُونَ فِيهِمْ مَنْ يَأْمُرُ بِمَعْرُوفٍ، وَلَا يَنْهَى عَنْ مُنْكَرٍ، لِغَلَبَةِ الْفِسْقِ، وَظُهُورِ أَهْلِهِ)

الثاني: قول الْخَطَّابِيُّ: (هُوَ مِنِ اسْتِلْذَاذِ الْعَيْشِ. يُرِيدُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّهُ يَقَعُ عِنْدَ خُرُوجِ الْمَهْدِيِّ، وَوُقُوعِ الْأَمَنَةِ فِي الْأَرْضِ، وَغَلَبَةِ الْعَدْلِ فِيهَا، فَيُسْتَلَذُّ الْعَيْشُ عِنْدَ ذَلِكَ، وَتُسْتَقْصَرُ مُدَّتُهُ. وَمَا زَالَ النَّاسُ يَسْتَقْصِرُونَ مُدَّةَ أَيَّامِ الرَّخَاءِ، وَإِنْ طَالَتْ وَيَسْتَطِيلُونَ مُدَّةَ الْمَكْرُوهِ وَإِنْ قَصُرَتْ).

الثالث: قولَ بَعْضُهُمْ: (اسْتِوَاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ).

الرابع: قول الدَّاوُدِيِّ: (أَنَّ سَاعَاتِ النَّهَارِ تَقْصُرُ قُرْبَ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَيَقْرُبُ النَّهَارُ مِنَ اللَّيْلِ) .

---

(١) صحيح البخاري كتاب الاستسقاء – باب ما قيل في الزلازل والآيات (٢/ ٣٣) رقم (١٠٣٦).

(٢)الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة. عبد الرحمن بن ناصر السعدي. ط: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. الرياض ١٤٠٥هـ. (١٣٢-١٣٣).

(٣) انظر : فتح الباري (١٣/ ١٦- ١٧).

الخامس: قول النَّوَوِيِّ تَبَعًا لِعِيَاضٍ وَغَيْرِهِ: (الْمُرَادُ بِقِصَرِهِ: عَدَمُ الْبَرَكَةِ فِيهِ، وَأَنَّ الْيَوْمَ، مَثَلًا، يَصِيرُ الِانْتِفَاعُ بِهِ بِقَدْرِ الِانْتِفَاعِ بِالسَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ).

السادس: وَقِيلَ (قِصَرُ الْأَعْمَارِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى كُلِّ طَبَقَةٍ؛ فَالطَّبَقَةُ الْأَخِيرَةُ أَقْصَرُ أَعْمَارًا مِنَ الطَّبَقَةِ الَّتِي قَبْلَهَا).

السابع: قول الطحاوي: (تَقَارُبُ أَحْوَالِهِمْ فِي الشَّرِّ وَالْفَسَادِ وَالْجَهْلِ).

الثامن: قول ابن أبي جَمْرَةَ (قِصَرُهُ، عَلَى مَا وَقَعَ فِي حَدِيثِ "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَكُونَ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ". وَعَلَى هَذَا، فَالْقِصَرُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ حِسِّيًّا، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَوِيًّا. أَمَّا الْحِسِّيُّ فَلَمْ يَظْهَرْ بَعْدُ. وَلَعَلَّهُ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تَكُونُ قُرْبَ قِيَامِ السَّاعَةِ. وَأَمَّا الْمَعْنَوِيُّ، فَلَهُ مُدَّةٌ مُنْذُ ظَهَرَ، يَعْرِفُ ذَلِكَ أَهْلُ الْعِلْمِ الدِّينِيِّ، وَمَنْ لَهُ فِطْنَةٌ مِنْ أَهْلِ السَّبَبِ الدُّنْيَوِيِّ. فَإِنَّهُمْ يَجِدُونَ أَنْفُسَهُمْ لَا يَقْدِرُ أَحَدُهُمْ أَنْ يَبْلُغَ مِنَ الْعَمَلِ قَدْرَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَهُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَيَشْكُونَ ذَلِكَ وَلَا يَدْرُونَ الْعِلَّةَ فِيهِ! وَلَعَلَّ ذَلِكَ بِسَبَبِ مَا وَقَعَ مِنْ ضَعْفِ الْإِيمَانِ، لِظُهُورِ الْأُمُورِ الْمُخَالِفَةِ لِلشَّرْعِ مِنْ عِدَّةِ أَوْجُهٍ. وَأَشَدُّ ذَلِكَ الْأَقْوَاتُ؛ فَفِيهَا مِنَ الْحَرَامِ الْمَحْضِ، وَمِنَ الشُّبَهِ مَا لَا يَخْفَى، حَتَّى إِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَا يَتَوَقَّفُ فِي شَيْءٍ، وَمَهْمَا قَدَرَ عَلَى تَحْصِيلِ شَيْءٍ هَجَمَ عَلَيْهِ وَلَا يُبَالِي. وَالْوَاقِعُ أَنَّ الْبَرَكَةَ فِي الزَّمَانِ، وَفِي الرِّزْقِ، وَفِي النَّبْتِ، إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ طَرِيقِ قُوَّةِ الْإِيمَانِ، وَاتِّبَاعِ الْأَمْرِ، وَاجْتِنَابِ النَّهْيِ. وَالشَّاهِدُ لِذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾

التاسع: قول الْبَيْضَاوِيِّ (تَسَارُعَ الدُّوَلِ إِلَى الِانْقِضَاءِ وَالْقُرُونِ إِلَى الِانْقِرَاضِ فَيَتَقَارَبُ زَمَانُهُمْ وَتَتَدَانَى أَيَّامُهُمْ).

فهذه تسعة أقوال اجتهادية في تفسير تقارب الزمان، فليس بمستنكر أن يكون عاشرها ما رآه الشيخ من تفسير ذلك بتوفر المواصلات، والاتصالات التي اختصرت الزمان، حتى باتت المسافات الطويلة تقطع في الأوقات القصيرة. والله تعالى أعلم.

كما أشار، رحمه الله، إلى حديث أبي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ، حَتَّى يَكْثُرَ الْمَالُ وَيَفِيضَ، حَتَّى يَخْرُجَ الرَّجُلُ بِزَكَاةِ مَالِهِ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهَا مِنْهُ، وَحَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا)(١)، فقال: (وكذلك إخباره بأنها لا تقوم الساعة حتى تعود

---

(١) صحيح مسلم كتاب الزكاة – باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد أحد (٢/ ٧٠١) رقم (١٥٧).

جزيرة العرب مروجًا وأنهارًا. والحديث في صحيح مسلم. من ذا الذي يخطر بباله، قبل هذه الأوقات، أن هذه الجزيرة القاحلة، تكون على هذا الوصف، حتى ظهر مصداق ذلك ومباديه بتيسير أمور الحراثة، واستخراج المياه بالآلات الحديثة. فخبره بذلك خبر عن الأمرين: عما يقع، وعما به يقع عن الجزيرة؛ أنها ستكون مروجًا وأنهارًا، وعن الآلات التي تستخرج بها المياه، وتحرث بها الأراضي، وتتيسر الأعمال)[١].

وقد ذهب النووي، رحمه الله، إلى معنى غير متبادر، فقال: (مَعْنَاهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، أَنَّهُمْ يَتْرُكُونَهَا، وَيُعْرِضُونَ عَنْهَا، فَتَبْقَى مُهْمَلَةً؛ لَا تُزْرَعُ، وَلَا تُسْقَى مِنْ مِيَاهِهَا. وَذَلِكَ لِقِلَّةِ الرِّجَالِ، وَكَثْرَةِ الْحُرُوبِ، وتراكم الفتن، وَقُرْبِ السَّاعَةِ، وَقِلَّةِ الْآمَالِ، وَعَدَمِ الْفَرَاغِ لِذَلِكَ والِاهْتِمَامِ بِهِ)[٢].

والظاهر أن معنى العَوْد هنا: الأوْل، أي ترجع إلى حال أولى كانت عليها. ونقل السيوطي عن القرطبي: (وتنصرف دواعي الْعَرَب عَن مُقْتَضى عَادَتهم من انتجاع الْغَيْث، والارتحال عَن المواطن للحروب والغارات، وَمن عزة النُّفُوس الْعَرَبيَّة الْكَرِيمَة الأبية، إِلَى أن يتقاعدوا عَن ذَلِك، فيشتغلوا بغراسة الأَرْض وعمارتها، وإجراء مياهها، كَمَا قد شوهد فِي كثير من بِلَادهمْ وأحوالهم)[٣].

وما ذهب إليه الشيخ، رحمه الله، قريب مما ذكر القرطبي. ولكن الوصف النبوي أبلغ من مجرد استنباط الماء بالآلات الحديثة، والسقي بها. فإن المروج والأنهار تنتج عن تغير مناخي كبير، يحيل الصحاري الجرداء، إلى رياض خضراء. والله على كل شيء قدير. كما أنه يشعر بأن ذلك كان حالًا لها في حقبة مضت من الزمن. والدراسات الجيولوجية تشير إلى وجود النفط "البترول" في الجزيرة العربية، ناشئٌ من مكونات عضوية؛ من حيوانات، ونباتات، انطمرت قبل قرون من الزمن. والله أعلم.

كما أشار، رحمه الله، إلى حديث أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، رضي الله عنه، قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ

([١])الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة. عبد الرحمن بن ناصر السعدي. ط: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. الرياض ١٤٠٥هـ(١٣٣).

([٢]) شرح النووي على مسلم (٧/ ٩٧).

([٣])شرح السيوطي على مسلم (٣/ ٨٤).

حَتَّى تُكَلِّمَ السِّبَاعُ الإِنْسَ، وَحَتَّى تُكَلِّمَ الرَّجُلَ عَذَبَةُ سَوْطِهِ، وَشِرَاكُ نَعْلِهِ، وَتُخْبِرَهُ فَخِذُهُ بِمَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ مِنْ بَعْدِهِ)[١]

فقال: (وإخباره أنه لابد أن يكلم الرجل عذبةُ سوطه، وشراكُ نعله، ويخبره فخذه بما فعل أهله بعده. ومصداقه ما ظهر من الأعمال الكهربائية، والمخاطبات التليفونية والهوائية، والراديات المتنوعة التي لا تزال في نمو وازدياد)[٢].

وقد قال، رحمه الله، ذلك قبل نحو ثمانين سنة، على مبادئ ظهور المذياع والبرقية، ووقع ما توقعه من نمو وازدياد. فكيف لو رأى الوسائط الحديثة من الهواتف المحمولة، الناقلة للصوت والصورة!.

لكن مقتضى حمل النصوص على ظاهرها يأبى هذا التأويل، بدليل اقترانها بتكليم السباع. وقد وردت النصوص الصحيحة على تكلمها حقيقةً. فلا يسوغ الجزم بكون مصداق ذلك هذه المخترعات. فرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بما قال. ولو شاء لعبَّر بما يحتمله المقال.

---

(١) سنن الترمذي كتاب الفتن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم – باب ما جاء في كلام السباع (٤/٤٦) رقم (٢١٨١)، صححه الألباني في صحيح (٧٠٨٢).

(٢) وجوب التعاون بين المسلمين وموضوع الجهاد الديني. عبد الرحمن بن ناصر السعدي. المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي. ط: مركز صالح بن صالح الثقافي. ١٤١١هـ ١٩٩٠م عنيزة.(٥/٢٣٥).

الخاتمة

تبين مما تقدم، أن الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، رحمه الله، كان أحد أعلام الإسلام في القرن الرابع عشر الهجري، وقد شارك في تجديد الدين، وإحياء مذهب السلف، بقلمه ولسانه. وقد شهد عصره تحولات فكرية، وسياسية، واجتماعية كبرى. وكان من أبرزها:

أولًا: فتنة الإلحاد: التي اجتاحت العالم بأسره، والبلاد الإسلامية والعربية، وعززها قيام الثورة الشيوعية سنة ١٣٣٧ه ١٩١٧م في الدول الشرقية، ونشاط المدارس الفلسفية الإلحادية في الدول الغربية، وتأثر بعض أبناء المسلمين بها.

ثانيًا: فتنة المادية والمخترعات الحديثة: التي ازدهرت خلال القرن المنصرم، وبهرت عيون وعقول الناس، حتى فرحوا بما عندهم من العلم، وزهدوا في علوم الدين.

وقد تعرض الدين وحملته لحملة شعواء من قبل هؤلاء الملاحدة والمفتونين الذين مكَّن لهم الاستعمار الأوربي في حواضر المسلمين، فنشروا الشبهات، وانتحلوا العلم الحديث والمخترعات لترويج باطلهم وإلحادهم. وقد كان الشيخ، رحمه الله، يقف على الخط الساخن، في وجاه هؤلاء وهؤلاء، متخطيًا حدود منطقته، متصلًا بأحوال الأمة جمعاء، مشاركًا في قضاياها الفكرية العقدية، والسياسية المجتمعية.

وصنَّف الشيخ، رحمه الله، في جميع أبواب الدين عامة، وفي العقيدة خاصة. وبيَّن العقيدة الحقة، بجميع أصولها، بأحسن أسلوب، وألطف خطاب. وكان من جملة ذلك ما يتعلق بأشراط الساعة. ولمَّا كان ذلك من الأمور الغيبية التي يتطرق منها الملاحدة والمشككون إلى توهين عرى الدين، اجتهد، رحمه الله، في تقريبها، بل في توظيفها للتدليل على صدق خبر الله ورسوله. وكان في عامة تقريراته يسير على سنن السلف الصالح، من إجراء النصوص على ظاهرها، واعتقادها حقًّا على حقيقتها. غير إنه تأثر، رحمه الله، بمدرسة السيد محمد رشيد رضا، رحمه الله، بقدر معين، فوقع لديه نوع تأويل في بعض نصوص أشراط الساعة، يحدوه في ذلك قصد نبيل في التمسيك بأصل الدين، ونصح وإشفاق على عموم المسلمين.

فقد أثبت الشيخ، رحمه الله، حقيقة الدجال، ونزول عيسى ابن مريم، دون تأويل، وأثبت حقيقة يأجوج ومأجوج، وتوسع في دلالة اسمهم، وصفة انفتاحهم، وبالغ في تأويل الدابة، بما لا يتفق وظاهر النصوص. والله يغفر له. كما جرى له اجتهادات في نصوص متناثرة يسعه فيها ما وسع غيرها في تفسيرها، وربما أصاب، وربما أخطأ، وخطأ المجتهد مغفور، وفي جنب فضائل مثله، مغمور، والتنبيه عليه وفاء للشيخ وسبيل مأثور. وما أحسن ما قاله

الشيخ، حمود بن عبد الله التويجري، رحمه الله، في خاتمة رده عليه في شأن يأجوج ومأجوج: (ليعلم المطَّلع على كتابي هذا أن إنكاري لما توهمه ابن سعدي في أمر السد، ويأجوج ومأجوج، وما كتبته في التنبيه على أخطائه، لا يمنعني من الثناء عليه، والدعاء له بالمغفرة والرحمة؛ فقد خلَّف علمًا كثيرًا في مؤلفاته، وعند تلاميذه. فأما ما كتبه في رسالته في السد ويأجوج ومأجوج، فهو من الزلات المغمورة في جنب فضائله ومحاسنه. وقد قال الشاعر، وأحسن فيما قال:

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها　　　كفى المرء نبلًا أن تعد معائبه)[١]

وهذا أدب العلماء، وحال أتباع الأنبياء: (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) [الحشر: ١٠].

---

(١) الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر (٣٥٨).

فهرس المصادر

١- إبطال دعوى الخروج ليأجوج ومأجوج. عبد الكريم بن صالح الحميد. (لا يوجد بيانات طباعة على المطبوعة!).
٢- الأجوبة السعدية عن المسائل الكويتية. دراسة وتحقيق : د. وليد بن عبد الله المنيس. ط: مركز البحوث والدراساتالكويتية. الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م الكويت.
٣- الأجوبة النافعة عن المسائل الواقعة، التي أرسلها لتلميذه الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل، رحمهما الله. اعتنى بها: هيثم بن جواد الحداد. ط: دار المعالي. عمان، ودار ابن الجوزي. الدمام. الأولى ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م
٤- الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر، المؤلف: حمود بن عبد الله بن حمود التويجري، الناشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد،سنة النشر: ١٤٠٣ – ١٩٨٣، الطبعة: الأولى.
٥- الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين. عبد الرحمن بن ناصر السعدي. المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي. ط: مركز صالح بن صالح الثقافي. ١٤١١هـ ١٩٩٠م عنيزة.
٦- البداية والنهاية. عماد الدين، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي. تحقيق : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي.ط: مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية. دار هجر. الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.
٧- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية وأهل الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد). أحمد بن عبد الحليم بن تيمية. تحقيق د. موسى الدويش. ط: مكتبة العلوم والحكم
٨- تفسير القرآن العظيم، المؤلف : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٩- تفسير القرآن العظيم. إسماعيل بن عمر بن كثير. ط: دار ابن الجوزي. الأولى. الدمام ١٤٣١هـ.
١٠-تيسير الكريم الرحمن بتفسير كلام المنان. عبد الرحمن بن ناصر السعدي. ط: دار ابن الجوزي. الأولى ١٤٢٢هـ الدمام.
١١-جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المحقق : أحمد محمد شاكر، الناشر : مؤسسة الرسالة، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
١٢-الجامع الصحيح سنن الترمذي، المؤلف : محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون، عدد الأجزاء : ٥

١٣-رسالة (يأجوج ومأجوج). عبد الرحمن بن ناصر السعدي. تحقيق وتعليق د. أحمد القاضي. ط: الثانية. دار ابن الجوزي. الدمام ١٤٢٧هـ.
١٤-روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين المؤلف:محمد بن عثمان القاضي . ط: الحلبي. الثانية ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م القاهرة.
١٥-الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة. عبد الرحمن بن ناصر السعدي. ط: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. الرياض.
١٦-الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة. عبد الرحمن بن ناصر السعدي. ط: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. الرياض ١٤٠٥هـ.
١٧-الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة. د. عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر. ط: الأولى . مكتبة الرشد. الرياض ١٤١١هـ.
١٨-صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ
١٩-صحيح مسلم المؤلف : مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، عدد الأجزاء : ٥، مع الكتاب : تعليق محمد فؤاد عبد الباقي
٢٠-علماء نجد خلال ثمانية قرون المؤلف: عبد الله بن عبد الرحمن البسام ط: دار العاصمة. الأولى ١٣٩٨هـ الرياض.
٢١- فتح الباري، المؤلف : أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، تعليق : عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وذكر أطرافها : محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر : دار الفكر.
٢٢-الفكر الإسلامي المعاصر : دراسة وتقويم. غازي التوبة. ط: دار القلم. الثانية. بيروت ١٩٧٧م.
٢٣-فيض الباري على صحيح البخاري . محمد أنور الكشميري. ط: دار المأمون . شبرا . الأولى ١٣٥٧هـ – ١٩٣٨م .
٢٤-لسان العرب. محمد بن مكرم بن منظور. تحقيق : أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي.ط: دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي. الأولى. بيروت ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.
٢٥-مجلة المشكاة بحثًا بعنوان (أثر فيه نظر) (نظر بعد نظر) ، د. حاكم المطيري

٢٦-مجموع خطب الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي اعتنى بجمعها د. وليد بن محمد العلي . ط: دار البشائر الإسلامية. الأولى ١٤٣٢هـ ٢٠١١م
٢٧-مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
٢٨-المصنف في الأحاديث والآثار، المؤلف : أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، الناشر : مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩، تحقيق : كمال يوسف الحوت، عدد الأجزاء : ٧.
٢٩-المغانم المطابة في معالم طابة (٤٦٩/٢). ط: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة. الأولى ١٤٢٣هـ. المدينة.
٣٠-مواقف اجتماعية من حياة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي عناية سبطه: مساعد، بن عبد الله السعدي. ط: دار الميمان. الأولى ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.
٣١-وجوب التعاون بين المسلمين وموضوع الجهاد الديني. عبد الرحمن بن ناصر السعدي. المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي. ط: مركز صالح بن صالح الثقافي. ١٤١١هـ ١٩٩٠م عنيزة.
٣٢-يأجوج ومأجوج فتنة الماضي والحاضر والمستقبل. د. الشفيع الماحي أحمد. ط: دار ابن حزم. الأولى. بيروت. ١٤١٦هـ ١٩٩٦م .